شعر الخمر

عند أبي محجن الثقفي رضي الله عنه من العشق إلى الهجر

دراسة بلاغية نقدية

إعـداد

دكتور/ هاني عمر محمد غانم

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣م

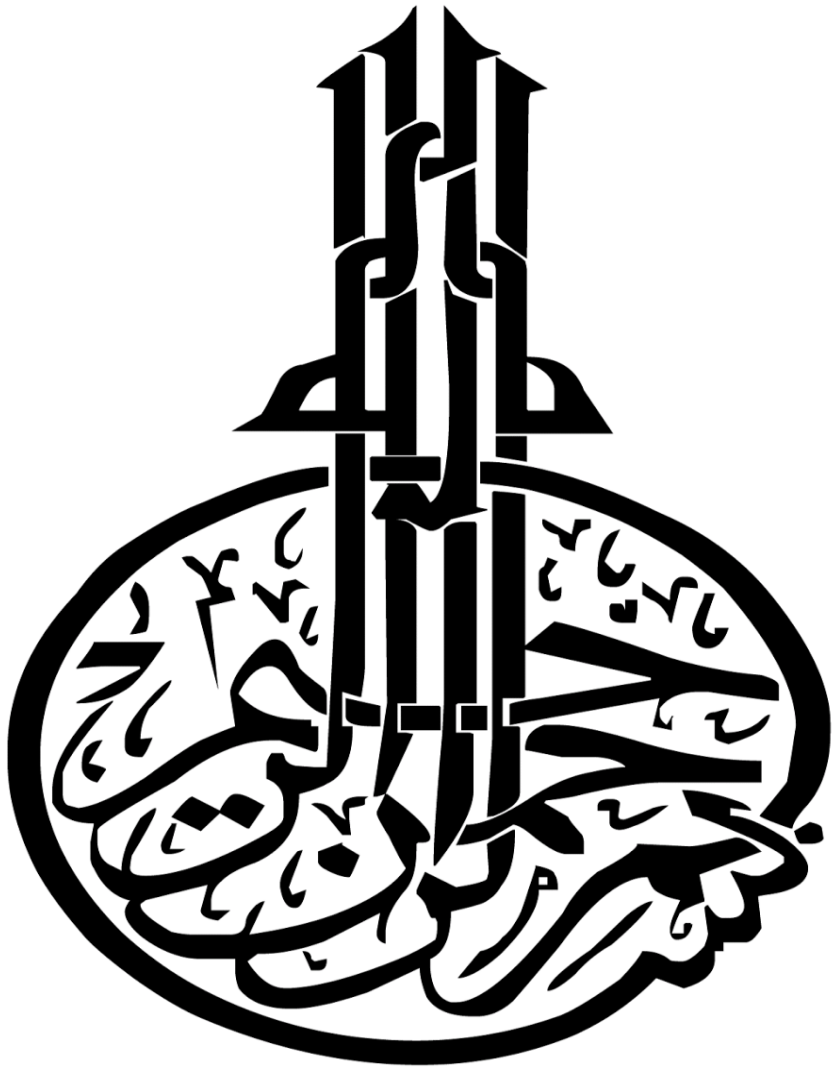

شعر الخمر عند أبي محجن الثقفي - رضي الله عنه - من العشق إلى الهجر "دراسة بلاغية نقدية"

هاني عمر محمد غانم
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني:
HanyGhanem33@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تناول البحث موضوعًا شعريًا من الموضوعات البارزة في شعرنا القديم، وهو موضوع وصف الخمر وتصويرها وما يتصل بها، عند شاعر من شعراء الخمر المعدودين في شعرنا القديم، وهو أبو محجن الثقفي، حيث قدم فيه إبداعات شعرية رائعة ومثيرة، وكشفت عن مراحل تعامله مع الخمر، حبًا وعشقًا ومعاقرة، ثم هجرًا ونفورًا وامتناعًا عن معاقرتها، وذمًا وعكست ملامح ذلك الموضوع الشعري في الحالين بوضوح وجلاء، والملامح الفارقة بينهما في الشكل والمضمون. في بداية البحث إشارة موجزة إلىٰ أهمية الموضوع، ودواعي اختياره وبحثه، وبعض ملامح من حياة الشاعر، وشاعريته وشعره، ومن الوضع الأدبي العام في عصر صدر الإسلام، وموقف بعض أسلافنا من الخمر، وموقف بعض الشعراء منها، وبروز وصف الخمر في شعرنا القديم، واهتمام بعض الشعراء به في شعرهم، وفي مقدمتهم أبو محجن الثقفي. وتناول البحث بعد ذلك شعر الخمر عند أبي محجن الثقفي في المرحلتين، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا نقديًا، يكشف عما تنطوي عليه من مضامين وفنيات رائعة، ومن قيم ونكات وأسرار بلاغية دقيقة، ومفردات وتراكيب وصور بديعة محكمة ووسائل موسيقية مثيرة ومؤثرة، وخصائص بلاغية دقيقة في الألفاظ، وفي التراكيب، وفي الصور، وبيان ما في سياق ذلك كله من جماليات ومحاسن

وروائع في الشكل والمضمون، تعكس روعة شعر الخمر عند أبي محجن، وتؤكد صحة وصوابية تقدير النقاد والبلاغيين له ولشعره. والله الموفق.

الكلمات المفتاحية: شعر الخمر- أبي محجن الثقفي - العشق إلىٰ الهجر- دراسة بلاغية نقدية.

The Wine Poetry of Abu Muhjan Al-Thaqafi - may God be pleased with him - From Love to Abandonment "critical rhetorical study"

Hani Omar Mohamed Ghanem
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Boys in New Damietta, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: HanyGhanem.33@azhar.edu.eg

Abstract:

The research addressed a poetic subject of the prominent subjects in our ancient poetry, which is the subject of describing wine and its depiction and what is associated with it, at a poet of the poets of wine counted in our ancient poetry, namely Abu Mahjan al-Thaqafi, where he presented in it wonderful and exciting poetic creations, and revealed the stages of his dealing with wine, love and adoring and drinking, then abandonment and aversion and refraining from drinking it, and then invective it. It reflected the features of that poetic subject in the two cases clearly and obviously, and the distinguishing features between them in form and content. In the beginning of the research, there are a brief reference to the importance of the topic, the reasons for choosing it and researching it, some features of the poet's life, his poetic and his poetry, and the general literary situation in the early Islamic era, the opinions of some of our ancestors towards wine, the opinions of some poets in it, and the prominence of the description of wine in our ancient poetry, and the interest of some poets in it in their poetry, and in the forefront of them Abu Muhanjin Al-Thaqafi. The research then addressed the poetry of wine at Abu Mahjan al-Thaqafi in the two stages, and analyzed it with a critical rhetorical analysis, which reveals what it contains of wonderful contents and techniques, and of values, jokes, and precise rhetorical

secrets, and beautiful and well-crafted words, structures, and images, and exciting and effective musical means, and precise rhetorical characteristics in words, in structures, and in images, and explaining what is in the context of all of this of aesthetics, beauties, and masterpieces in form and content, reflecting the beauty of the poetry of wine at Abu Mahjan, and confirming the validity and correctness of the appreciation of critics and rhetoricians for him and his poetry. And God is the One who helps.

Keywords: Wine poetry - Abu Muhjin Al-Thaqafi - Love for abandonment - A critical rhetorical study.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه

وبعد

شعرنا العربي – علىٰ مدىٰ العصور– غني بالمفردات والتراكيب والأساليب الدقيقة المحكمة، وبالصور الحية الجميلة، والمشاهد الحيوية، والأوصاف الرائعة، والموسيقىٰ المؤثرة، والمضامين المثيرة.

وهو شعر حيوي جميل، تعامل فيه شعراؤنا العرب مع فنون وتجارب وموضوعات متعددة، ومشاهد ومظاهر متنوعة، تتناول جوانب الحياة المختلفة، والإنسان وما يتصل به، ومظاهر حياته، والكائنات الحية، علىٰ اختلافها وتنوعها، ومظاهر حياتها، وقدم شعراؤنا في ذلك كله إبداعات بديعة، وروائع رائعة، ولوحات فنية تثير الوجدانات، وتحرك الأحاسيس، وتهز المشاعر والعواطف، تؤثر بشدة في المتلقين، وتدفعهم إلىٰ الانفعال بها، والتفاعل معها، والتأثر بها، والاستمتاع بجمالياتها ومحاسنها، والاقتناع بما تحمله لهم من مضامين ونصائح وتوجيهات.

ومن بين تلك الموضوعات العديدة، التي برزت في شعرنا العربي، لاسيما القديم منه، وتفاعل معها الشعراء تفاعلًا قويًا، وانفعلوا بها في شعرهم، وقدموا فيها لوحات شعرية رائعة، مضمونيًا وفنيًا. من بين تلك الموضوعات يبرز موضوع وصف الخمر وما يتعلق بها، وما يدور في مجالسها، وما يحدث لشاربها، وما تحدثه في نفوس وعقول معاقريها، وأوانيها ولونها، وتأثيرها، والقائمين علىٰ تقديمها للشاربين، من الغلمان والجواري والقيان، وغيرهم.

أظهر شعراؤنا العرب– لاسيما في العصور الأولىٰ لشعرنا العربي– اهتمامًا واضحًا يتناول ذلك الموضوع في شعرهم، سواء منهم من عاقر الخمر، ومن لم يعاقرها، وتنافسوا في تقديم اللوحات الشعرية المبهرة في ذلك المجال.

وهي لوحات تغري بالدراسة التحليلية الفنية، وبالتحليل البلاغي النقدي الدقيق، لمفرداتها وجملها وتراكيبها وصورها وموسيقاها ومضامنيها؛ لبيان ما تحمله تلك اللوحات الشعرية، وما تنطوي عليه من أوجه الحسن، ومظاهر الجمال، وسمات الروعة، والكشف عن ملامح قوة تأثيرها في المتلقين، وإثارتها لمشاعرهم وأحاسيسهم ووجداناتهم، ودفعهم بقوة إلىٰ الانفعال بها، والتفاعل معها.

ومن بين الشعراء العرب القدماء، الذين برعوا في وصف الخمر، وأبدعوا في تصويرها، وأجادوا في تقديم لوحات شعرية بديعة لها، **شاعرنا أبو محجن الثقفي**، الذي تعامل مع الخمر في شعره تعاملًا واقعيًا، حيث كان يعاقرها، ويتردد علىٰ مجالسها وخماراتها، ويحتسي منها ما يستطيع من الاحتساء، وطال به الطريق والعهد مع الخمر، وفي ثنايا ذلك يصفها، وما يتصل بها، وصفًا رائعًا، ويصورها تصويرًا بديعًا، ويقدم فيها اللوحات الشعرية المثيرة والمؤثرة، شكلًا ومضمونًا.

ومع تحذير خلفاء رسولناصلىٰ الله عليه وسلم له من ذلك ، ومحاسبته علىٰ معاقرته الخمر، وقيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجلده وسجنه بسبب ذلك، بدأ يتراجع عن معاقرتها، ويمتنع عن شربها، وفي إطار تلك المرحلة قدم لنا- أيضا- لوحات شعرية رائعة، في الحديث عن هجر الخمر والامتناع عن شربها، وذمها، وبيان مساوئها.

وذلك كله يدل علىٰ أن أبا محجن الثقفي قد قدم لنا في الحالين إبداعًا شعريًا رائعًا، تناول فيه مراحل تعامله مع الخمر، معاقرة وشربًا ومدحًا، ثم امتناعًا وهجرًا وذمًا، وهو إبداع شعري بديع، يغري بالدراسة البلاغية النقدية، ويدفع الباحث-في هذا المجال- دفعًا إلىٰ قراءة ذلك الإبداع وتحليله تحليلًا تطبيقيًا، ومحاولة الوقوف علىٰ جمالياته المضمونية والفنية، ومحاسنه اللغوية والبلاغية، وأسراره ونكاته

البلاغية في الشكل والمضمون، التي تقف وراء مفردات الشاعر وجمله وتراكيبه وصوره وموسيقاه ومضامينه.

وأشير هنا أنيي من أثر فيهم ذلك الجانب في شعر أبي محجن، بعد أن اطلعت علىٰ ديوانه، ووقفت علىٰ كثير من أسراره البلاغية، ومظاهره الجمالية، ومحاسنة المضمونية والفنية والأسلوبية التي تغري بالبحث البلاغي النقدي، وتدفع إلىٰ التأمل الدقيق فيه؛ لاستخراج لآلئه ودرره ونكاته وقيمه البلاغية والنقدية والفنية واللغوية والمضمونية، في ضوء القيم والقواعد والأسس البلاغية والنقدية المختلفة، والوقوف علىٰ كيفية ووسائل وأدوات تعامل أبي محجن مع الخمر في الحالين فنيًا ومضمونيًا وبلاغيًا.

فكان لنا، من ذلك كله، ذلك البحث المتواضع، الذي بين أيدينا بعنوان[**شعر الخمر عند أبي محجن الثقفي رضي الله عنه من العشق إلى الهجر دراسة بلاغية نقدية**].

ومع قلة شعر أبي محجن فقد حظي بدراسات متعددة ، ولاقىٰ اهتمامًا كبيرًا ممن اهتم بالدراسات الشعرية منها: (الخمر في شعر أبي محجن رؤية نقدية تحليلية)- د/ ناهد أحمد شعراوي- كلية الآداب- طنطا-ج٣- ع ٢٢-٢٠٠٩م، أشارت في هذا البحث الذي لم يتجاوز الثلاثين صفحه إلىٰ أن الشاعر كان صادقًا في تجربته الشعرية وفي موسيقاه، وأنه عرض في خمرياته صور مبتكرة ومميزة تعبر عن شدة إحساسه بها، و(خمريات أبي محجن بين الشك واليقين)-لعبدالله فتحي – العراق –٢٠٠٤، أشار في هذا البحث- الذي لم يتجاوز عشرين صفحة - إلىٰ ترجمته وتجربته مع الخمر وأحداث القادسية، وموقفه مع سعد بن أبي وقاص ، و(الدلالة في شرح ديوان أبي محجن الثقفي لأبي هلال العسكري المتوفىٰ نحو ٣٩٥هـ)-د/ محمد أحمد صالح كتان-أصول لغة- كلية اللغة العربية أسيوط-

العدد/ ٢١-ج٧-٢٠١٧م، تناول فيه الوجهة اللغوية من ناحية الدلالة، ومن الدراسات الأدبية أيضا ، (أبو محجن حياته وشعره دراسة وتحقيق) للدكتور/ محمود فاخوري، وهي دراسة تعني بحياة الشاعر ومكانته ، وتحقيق شعره وما يدور حوله[١]، و (شاعر الفارسية الفارس التائب أبو محجن الثقفي)[٢] وهي دراسة عنيت بشعره وأغراضه واتجاهاته من حيث البناء الفني فيه، و(أبو محجن الثقفي حياته وشعره) د/ محمد مختار جمعه[٣] ، وغير ذلك الدراسات الأدبية التي عنيت بشعره.

أما عن الدراسات البلاغية ، فقد سبقت بدراستين-على حد علمي-

الأولى: دراسة د طلعت عبدالله بسيوني أبو حلوة بعنوان(من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي)[٤].

والثانية: دراسة د/ محمد عبدالكريم محمد عاشور بعنوان(القيود والمتعلقات في ديوان أبي محجن الثقفي دراسة بلاغية تحليلية)[٥].

✍ **فالدراسة الأولى:** تتناول نوعًا واحدًا من المفردات اللغوية، وهو الفعل بأنواعه، وتحليله بلاغيًا، والوقوف علىٰ أسراره البلاغية، وإيحاءاته الدلالية اللغوية والمعنوية والتصويرية، والكشف عن أثره في السياق اللغوي والمعنوي، ودوره في الدلالة علىٰ ما أراده الشاعر من وراء الفعل بأنواعه، وذلك في نماذج

---

(١) منشورات كلية الآداب-جامعة حلب- مديرية الكتب والمطبوعات-ط٢-١٩٨٨م.

(٢) مطبعة التركي-طنطا- مصر-ط١- ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٣) حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق-جامعة الأزهر-القاهرة-ع ١٥-١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٤)حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق-جامعة الأزهر- العدد الثامن والعشرون-المجلد الرابع-٢٠١٢هـ.

(٥)حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق-جامعة الأزهر- العدد التاسع والعشرون-المجلد الخامس-٢٠٢٠هـ.

محددة من شعر أبي محجن.

فمجال البحث محدود بنوع واحد فقط من المفردات اللغوية وهو الفعل، وبنماذج شعرية محددة، تتناسب مع عناصر محتوىٰ البحث.

- **والدراسة الثانية**: تتناول جانبًا بلاغيًا واحدًا هو جانب التقييد والمتعلقات، وأسراره البلاغية وأثره في السياق اللغوي، وفي الكشف عن المعاني وغايات الشاعر، وذلك من خلال جوانب محددة في مجال التقييد بالكلمة المفردة، وهي: الحال المفردة، والظرف، والمفعول، وجانبين محددين في مجال التقييد بالجملة، جملة الشرط ، وجملة الحال، وتحليل ذلك بلاغيًا في السياق اللغوي، والسياق المعنوي، والكشف عن أسرارها البلاغية، في نماذج محددة من شعر أبي محجن.

فمجال هذه الدراسة محدد بأنواع محددة من المفردات والتراكيب، وبنماذج محددة تتناسب معها.

- **أما عن دراستي** فإطارها أوسع ، حيث تتناول المفردات اللغوية بأنواعها ومشتقاتها ، والجمل والتراكيب بأنواعها المختلفة، في شعر الخمر كله عند أبي محجن، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا دقيقًا وكاملًا، يكشف عن إيحاءاتها ودلالاتها في السياق اللغوي والمضموني والتصويري والموسيقي، كما يكشف عن القيم والقواعد والأسس البلاغية التي وردت في سياقها، وأسرارها ونكاتها البلاغية في شعر الخمر.

فالمنحىٰ في البحثين مختلف، وطريقة التحليل البلاغي مختلفة ، والغاية والهدف من البحثين مختلفان إلىٰ حد كبير، كما أن بحثي يتناول جوانب وعناصر لم تتضمن فيهما.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة .

أما المقدمة ، فبينت فيها: أهمية موضوع البحث، ودواعي اختياره ودراسته، وخطة البحث.

وأما التمهيد ، ففيه نبذة مختصرة عن نشأة الشاعر وحياته تضمنت: اسمه، ولقبه، وكنيته، أمه ، وبعض معالم حياته، ووفاته، وإشارة موجزة إلىٰ شاعريته وشعره.

ثم توطئة عن الأدب في عصر صدر الإسلام، وبعض القصص والمرويات عن الخمر، وموقف بعض أسلافنا العربي والمسلمين منها، ومن معاقرتها وعدم معاقرتها، وموقف الشعراء من الخمر، وأحوالهم معها، والإشارة الموجزة إلىٰ بروز وصف الخمر في شعرنا العربي القديم، واهتمام بعض الشعراء به في شعرهم، ومن بينهم أبو محجن الثقفي، الذي اختير وصف الخمر في شعره موضوعًا لذلك البحث المتواضع.

ثم انتقلت-بعد ذلك- للحديث عن شعر الخمر عند أبي محجن، وما ينطوي عليه من مضامين وفنيات رائعة، وقيم ونكات وأسرار بلاغية دقيقة، ومفردات وتراكيب وصور بديعة محكمة، ووسائل موسيقية مثيرة ومؤثرة، مع تحليلها تحليلًا بلاغيًا نقديًا، يبرز جمالياتها ومحاسنها وأسرارها ودقائقها. وذلك من خلال العناصر الآتية:

- **المبحث الأول**: شعره في حب الخمر وعشقها.

وفيه قدمت نماذج وصف الخمر لأبي محجن، عبر فيها عن عشقه وحبه لها، وصور فيها أرها في نفسه، وأبدع في تصويرها وفي مدحها صورًا حيوية بديعة، من خلال مفردات وتراكيب وصور وموسيقىٰ رائعة ومثيرة.

-**المبحث الثاني**: شعره في هجر الخمر وذمها.

وفيه قدمت نماذج شعره في مرحلة تحوله عن شرب الخمر، وتوقفه عن معاقرتها، تصور ذلك في خمرياته ، وتقدم لنا لوحات بديعة في ذم الخمر، وبيان مساوئها وضررها، وتكشف عن توبته وتراجعه عنها.

وقد اعتمدت في دراسة تلك النماذج الشعرية ، في الحالين علىٰ المنهج الوصفي التكاملي القائم علىٰ التحليل البلاغي النقدي، للألفاظ، والتراكيب، والصور، والموسيقىٰ، وعلاقتها بمضامين الشاعر، وبعاطفته ومشاعره وأحاسيسه في خمرياته، حيث تعانقت كلها حتىٰ أبانت عن المعنىٰ المكنون في نفس الشاعر، حيث استطاع أبو محجن، عن طريقها كلها، أن يظهر المعاني الكائنة بخاطره ونفسه، كما تعانقت كلها –أيضا– في ترجمة عاطفة الشاعر وأحاسيسه ومشاعره تجاه الخمر في الحالين، وذلك كله في قوالب شعرية تهش لها النفس، وبها يبش القلب؛ لفصاحتها، وحسن سبكها ونظمها وإحكامها، وعلو المعنىٰ المكنون وراء ألفاظها وتراكيبها وصورها وموسيقاها، وفي ثنايا ذلك إشارات مقتضبة إلىٰ بعض الملامح الفارقة بين شعره الخمري في الحالين.

وفي نهاية البحث خاتمته، تضمنت: موجزًا لمعالم البحث وعناصره، وثبتًا بنتائج دراسة موضوعة، وما انتهىٰ إليه البحث فيها.

ثم ثبت المصادر والمراجع، التي رجع إليها الباحث، وأفاد منها في بحثه.

وأرجو–بعد ذلك– أن يكون البحث قد حقق الغاية والهدف من ورائه، وكشف بوضوح عن موضوعه وعناصره المختلفة، وأوضح ما تنطوي عليه خمريات أبي محجن من أسرار ونكات وقيم بلاغية مختلفة، وما تتسم به من جماليات ومحاسن، وما تنطوي عليه من روائع شكلًا ومضمونًا، وأن يكون البحث قد خرج في صورة حسنة جميلة، وقدم شيئًا جديدًا، ورؤية دقيقة، يحسبان له ولصاحبه. والله الموفق.

التمهيد: نبذة مختصرة عن حياة الشاعر

اسمه ولقبه وكنيته:

اختلف أصحاب السير والتراجم في اسمه:

فقيل: هو مالك بْن حبيب، وقيل: عَبْد اللهِ بْن حبيب بْن عَمْرو بْن عمير بْن عوف بن عقدة ابن غيرة بن عوف بْن قسي- وَهُوَ ثقيف- الثقفي، وقيل: اسمه كنيته، وكنيته أبو عبيد، وقيل: اسمه مالك، وقيل: اسمه عبد الله.

أمه:

كنود بنت عبد الله بن عبد شمس[1].

إسلامه:

أسلم حين أسلمت ثقيف، وسمع من النَّبِيّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وروىٰ عنه، حدث عنه أَبُو سعد البقال، فقَالَ: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: "أخوف مَا أخاف عَلَىٰ أمتي من بعدي ثلاث: إيمان بالنجوم، وتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة".

شجاعته:

كَانَ أَبُو محجن هَذَا من الشجعان الأبطال فِي الجاهلية والإسلام، من أولي البأس والنجدة ومن الفرسان البهم، وَكَانَ شاعرًا مطبوعًا كريمًا، إلا أنه كَانَ منهمكًا فِي الشراب، لا يكاد يقلع عنه، ولا يردعه حد ولا لوم لائم، وَكَانَ أَبُو بَكْر الصديق يستعين به، وجلده عُمَر بْن الْخَطَّابِ فِي الخمر مرارًا.

نفيه وحبسه:

نفاه إِلَىٰ جزيرة فِي البحر، وبعث معه رَجُلًا، فهرب منه ، ولحق بسعد بْن أبي وقاص بالقادسية، وَهُوَ محارب للفرس، وَكَانَ قد هم بقتل الرجل الَّذِي بعثه معه عمر، فأحس الرجل بذلك، فخرج فارًا فلحق بعمر فأخبره خبره، فكتب عمر إِلَىٰ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة-لابن حجر العسقلاني تـ٨٥٢ هـ(٧/ ٢٩٨) تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد-دار الكتب العلمية-بيروت-ط١-١٤١٥هـ.

سعد بْن أبي وقاص بحبس أبي محجن، فحبسه، فلما كَانَ؟ يوم قس الناطف بالقادسية، والتحم القتال، سأل أَبُو محجن امرأة سعد أن تحل قيده وتعطيه فرس سعد ،وعاهدها أنه إن سلم عاد إِلَىٰ حاله من القيد والسجن، وإن استشهد فلا تبعة عَلَيْهِ، فخلت سبيله، وأعطته الفرس، فقاتل أيام القادسية وأبلىٰ فِيهَا بلاءً حسنًا، ثم عاد إِلَىٰ محبسه[1].

شعره وشاعريته:

كان أبو محجن في شعره يمتاز بالدقة، وحسن النظم ، والمتأمل في ديوانه وبعض مقطوعاته يتضح له ذلك مع قلته، **مثل قوله:**

[الوافر]

لقد علمت ثقيفٌ غير فخرٍ بِأَنا نَحن أكْرمهم سيوفا

---

(١) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب- لأبي عمر يوسف القرطبي تـ ٤٦٣هـ (٤/ ١٤٧٦)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة- لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير تـ٦٣٠هـ(٦/ ٢٧١) تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية-الطبعة: الأولىٰ- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م. وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي تـ ٧٤٨هـ (٣/ ٣٠١)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ه/ ١٩٩٣م، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر- لمحمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ تـ ٧١١هـ(٢٩/ ١٦٦) تحقيق: روحية النحاس وآخرون-دار الفكر -دمشق - الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م، وسير أعلام النبلاء- لشمس الدين الذهبي تـ ٧٤٨هـ(٢/ ٤٤٨) - دار الحديث- القاهرة- من دون طبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،

(كَثَـــرهم دروعـــًا ســـابغاتٍ وأصـــبرهم إِذا كَرِهُـــوا الوقافـــا[١]

وقوله:

وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَنَعٍ وَأَكْتُمُ السِّرّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ[٢]

قَالَ ابْن سَلام: "وَأَبُو محجن رجل شَاعِر شرِيف"[٣].

وقال أبو هلال في مقدمة شرحه للديوان: وكان أبو محجن شاعرًا شريفًا قد فضلت أبياته القافية علىٰ كل شعر قيل في معناها، وهي هذه:

لا تســـأل النـــاسَ: مـــالي وكثرتـــه وسـائل القـوم مـا حزمـي ومـا خلقـي[٤]

وفاته:

توفي أبو محجن الثقفي رضي الله عنه بأذربيجان أو بجرجان سنة (٣٠هـ-٦٥٠م)[٥]، وذكر شمس الدين الذهبي أنه توفىٰ ٢٣هـ، وقال: فزعم الهيثم بْن عدِيّ أنّه أخبره من رأىٰ قبر أبي مِحْجَن بأذْرَبَيْجَان- أو قَالَ في نواحي جُرْجَان- وقد نبتت عليه كَرْمَةٌ وظلَّلَتْ وأثمرت، فعجِب الرجل وتذكّر شعره ـ[٦]

---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات- لصلاح الدين الصفدي تـ٧٦٤هـ(١٧/ ٦٣)تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفىٰ- دار إحياء التراث – بيروت-١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام-لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي تـ ٥٨١هـ(٢/ ٦٥) تحقيق:عمر عبد السلام السلامي- دار إحياء التراث العربي، بيروت-الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣) طبقات فحول الشعراء- لابن سلام تـ٢٣٢هـ(١/ ٢٦٨) تحقيق: محمود محمد شاكر- دار المدني- جدة- من دون.

(٤) ينظر: ديوان أبي محجن الثقفي، وشرحه لأبي هلال العسكري(ص٣)- طبع في مطبعة الأزهار – مصر- دون تاريخ.

(٥) ينظر: الأعلام- للزركلي تـ ١٣٩٦هـ(٥/ ٧٦) دار العلم للملايين-الطبعة: الخامسة عشر- ٢٠٠٢م.

(٦) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي تـ ٧٤٨هـ (٣/ ٣٠١).

توطئة

لقد كان الأدب العربي في عصر صدر الإسلام صورةً صادقة تعبِّر عن واقعِها، وعن طريقِه سجَّل الشعراءُ خبرتَهم وحكمتهم وتجاربهم، وهذا الإرث الذي خلَّفوه صار الدلالة الواضحة علىٰ قدرة الأدب في استيعاب جميع نواحي الحياة حينئذ سواءً كانت اجتماعية أم سياسية أم دينية، ولم يخل من الأمثلة التي تصور دوره في كل ما مر به المسلمون من أحداث ومشكلات علىٰ اختلافها وتنوعها.

وإنّ القصص الأدبية والشعرية المروية عن الخمر لتبرزُ نفور المجتمع منها؛ لأنها تُفقد شاربها الغيرة والنخوة، مع فقدان الإحساس بنقاء العرض والشرف، وقد حرَّم سيدنا أبو بكر الصديق الخمر في الجاهلية، وكذلك حرَّمها سيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، وحرمها قبل هؤلاء عبد المطلب بن هاشم، وورقة بن نوفل، وعامر بن الظرب ويقَال هو أول من حرمها في الجاهلية علىٰ نفسه(١).

وقد رُوِي أن عثمان بن مظعون(٢) كان قد حرم الخمر في جاهليته وقال في ذلك: "لا أشرب شرابًا يذهب بعقلي، ويضحك بي من هو أدنىٰ مني، وأزوِّج كريمتي من لا أريد"(٣).

---

(١) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨٢٠).

(٢) هو: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي – رضىٰ الله عَنْهُ –، أسلم أول الْإِسْلَام، وهاجر إِلَىٰ الحبشة هُوَ وابنه السائب الهجرة الأولىٰ مَعَ جماعة من المسلمين، مات قبل النَّبِيّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسلم – بالمدينة. ينظر: أسد الغابة (٣/ ٥٨٩).

(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لشمس الدين السخاوي تـ ٩٠٢هـ (٢/ ٢٥٢) – الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الاولىٰ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

وكذلك كان العباس بن مرداس السُّلمي[١] من الذين حرموا الخمر في جاهليتهم وقبل إسلامهم، وسُئِل: لِمَ تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك أو جرأتك؟، فقال: "أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيهَهُم، ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي"[٢].

ونشير إلىٰ أن فن الخمريات قد برز في شعرنا العربي القديم، وفي عصري الجاهلية وصدر الإسلام علىٰ وجه الخصوص، وبرع فيه عدد من الشعراء، وقدموا فيه لوحات فنية بديعة، تنطوي علىٰ جماليات ومحاسن كثيرة ، مضمونيًا وفنيًا، تغري الباحثين في مجال البلاغة والنقد وتدفعهم إلىٰ تقديم البحوث والدراسات المتنوعة فيها، بحثًا عن أسرارها ونكاتها وجمالياتها البلاغية، وعن محاسنها المضمونية والفنية، ولذلك كله، اندفعت-أيضا- إلىٰ اختيار شاعر من شعراء الخمر في شعرنا العربي القديم، لتقديم ذلك البحث المتواضع، في نماذج مختارة من خمرياته البديعة، من خلال تحليل تطبيقي بلاغي نقدي لها.

ولا يُعْدَمُ الباحثُ في فنون الأدب العربي عبر العصور الإسلامية المختلفة، أن يجد تجارب الشعراء والأدباء الذين وعظَتهم السنون، وشغلهم الحياء عن مُعاقرتها

---

(١) هو: الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسَ بْنِ أَبِي عَامِرِ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِيسَىٰ بن رفاعة، أسلم قبل فتح مكة، وهو الذي قال فيه الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في غزوة حنين: "اقطعوا عني لسانه"، وكان من المؤلفة قلوبهم. ينظر: تاريخ بيهق، لأبي الحسن ظهير الدين البيهقي تـ ٥٦٥هـ(ص١٢١) ترجمة: يوسف الهادي، الناشر: دار اقرأ، دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥ه.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي تـ١٢٧٠هـ(١/ ٥٠٩)، تحقيق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

بعد أن كانوا من المولعين بها، ولم يخل كذلك من النماذج الأدبية التي تصوّر حنين الذين ظلوا يعاقرونها ويعتذرون عن الإقلاع عنها، فصوَّروا ما نالهم بسببها من حدود وما تعرضوا له من طردٍ وإبعادٍ لأجلها، وإنَّ أصْدق النماذج ما صدر عن ذوي التجارب الشعرية الحقيقية.

وعلىٰ رأس من وعظتهم التجارب فأقلعوا عنها أبو محجن الثقفيﷺ، فقد أصابه الولع بالخمر ودومًا ما كان يتغنىٰ بها[1]، وما انفك يتعاقرها ويهيم في حبها حتىٰ أقلع عنها وهجَرَها، ثم ذمَّ شربَها كما ذمَّها.

والحمد لله رب العالمين.

(١) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤/ ١٧٤٦.

المبحث الأول: شعرُهُ في حُبِّ الخَمْرِ وعشقها

يقولُ أبو محْجَن في حبِّ الخمر: (الطَّويل)

إذا مِتُّ فادْفِنِّي إلىٰ جنب كرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها

ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاة فإنّني ... أخاف إذا مَا مِتُّ ألَّا أذُوقُها

أَباكِرُها عند الشروقِ وتارةً ... يُعاجلني بعد العشيّ غَبوقُها

وللكأسِ والصهباءِ حظٌّ منعَّمُ ... فمن حقّها أن لا تُضاعَ حُقُوقُها

أَقَوِّمُها زِقًّا بِحِقٍّ بِذاكُمُ ... يُساقُ الينا تُجُرُها ونَسوقُها(١)

إنَّ هذه الأبيات لها قصةٌ مع عُبيدٍ - ابن أبي محجن الثقفي -، وفيها يذكر أهل الأثر والأخبار أن عُبيدًا دخلَ عَلَىٰ معاوية بن أبي سفيان - أمير المؤمنين -، فَقَالَ له معاوية ﷺ: أبوك الّذي يقول:

إذا مِتُّ فادْفِنِّي إلىٰ جنب كرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها

ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاة فإنّني ... أخاف إذا مَا مِتُّ ألَّا أذُوقُها

إلىٰ آخر الأبيات، فقَالَ له عبيدٌ: لو شئتَ ذكرتُ أحسن من هَذَا من شعره، فقال: وما ذاك؟.

قال عبيدٌ: قولَه:

لَا تَسْأَلِي النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِه ... وَسَائِلِي القَوْمَ عَنْ دِينِي وَعَنْ خُلُقِي

القَوْمُ أَعْلَمُ أَنِّي مِنْ سُرَاتِهِم ... إِذَا سَمَا بَصَرُ الرِّعْدِيدَةِ الفَرِقُ

أَعْطِي السِّنَانَ غَدَاةَ الرَّوعِ نِحْلَتُه ... وَحَامِلُ الرُّمْحِ أَرْوِيهِ مِنَ العَلَقِ(٢)

(١) ديوان أبي محجن الثقفي (ص: ٢٤)، وتاريخ الإسلام(٣/ ٣٠٢)، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان(٥/ ١٧٧)، وسير أعلام النبلاء(٢/ ٤٤٨).

(٢) ديوان أبي محجن الثقفي(ص: ٥).

فَقَالَ معاوية: لئن كنا أسأنا القول لنُحْسِنَنَّ لك الصَّفْد[١]، وأجزلَ جائزته، ثم قَالَ: إذا ولدَتْ النساءُ فَلْتَلِدْنَ مِثْلَكَ[٢].

ولكن ذكر البَلَاذُري ، أنَّ هذه الحادثة كانت مع أبي محجن ذاته[٣].

وقد استشهد الخليل بن أحمد بقول أبي محجن:

إذا مِتُّ فادْفِنِّي إلىٰ جنب كرْمَةٍ تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها

وذلك للتدليل علىٰ أصل كلمة (كَرْم) [٤]، وبهذا الاستشهاد يستدل البحثُ علىٰ علو مرتبة أبي محجن اللغوية، وأنه من الذين يحتج بعربيتهم وفصاحة لسانهم، لكنه كان من المقلِّين في نظم الشعر.

وإنَّ أوَّلَ ما تتلقفه الآذان في هذه المقطوعة الشعرية هي الموسيقىٰ التي بُنيَت عليها، فقد بُنِيَت علىٰ نغمات بحر الطويل[٥]، الذي يمتاز من غيره من البحور الشعرية بأنه بحرٌ خضمٌ يستوعب ما لا يستوعب غيره من المعاني، ويتسع للفخر والحماسة، والاستعارات، وسرد الحوادث، وتدوين الأخبار، ووصف الأحوال؛

---

(١) الصَّفَدُ: يُقَالُ: أَصْفَدْتُهُ إِذَا أَعْطَيْتَهُ. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس تـ ٣٩٥هـ(٣/ ٢٩٤) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٥٠)

(٣) يقول البلاذري: "قدم أَبُو محجن عَلَىٰ معاوية فسأله عن بيتيه هذين، فَقَالَ: يا أمير المؤمنين سلني عن غيرهما، وأنشده الأبيات. ينظر: أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيىٰ بن جابر بن داود البَلَاذُري تـ ٢٧٩هـ(١٣/ ٤٤٠)، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) ينظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تـ١٧٠هـ(٥/ ٣٦٩)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (د.ت).

(٥) نظَم صفي الدين الحِلِّي مفتاحًا لهذا البحر، فيقول:

طَوِيلٌ لَهُ بَيْن البُحورِ فَضَائِلُ فَعُولَنْ مَفَاعِيلَنْ فعُولَنْ مَفَاعِلُ

ديوان صفي الدين الحلي(٦٢١)دار صادر، بيروت.

ولهذا رَبَا في شعر المتقدمين علىٰ ما سواه من البحور، فقد نُظم ما يقارب ثلث الأشعار علىٰ تفعيلات هذا البحر، ويتكوَّن من تفعيلتين هما: فعولن مفاعيلن، أربع مرات في كل بيت(١).

وما العشق والتغني إلا سردٌ لأحداثٍ ووقوفٌ علىٰ أطلالٍ مع بثّ زفرات الحنين والأشواق، كلٌّ علىٰ ما يشتاق ، إنهم الشعراء، وللخمر لذة يدركها شاربها، تتغلغل في الأوردة حتىٰ تحدث في الجسد دبيبًا يصحبه احمرارٌ في الوجه وانتفاخٌ للأوداج، ليغيب العقل وتعقبه نشوةٌ تملؤها الضحكات وتعلوها الصيحات التي يكسوهما البلاهة والانفلات، وكذلك فإن نَغَمة تفعيلات البحر الطويل تتماشىٰ مع الدندنة التي تكون بين الندماء في جِلستهم، ولذلك فإن الموسيقىٰ التي جرىٰ عليها أبيات القصيدة متلائمة مع غرضها ومضمونها.

أمّا من جهة الألوان البلاغية التي اتّكَأ عليها أبو محجن في بيان مراده، ففي الاستهلال يقول:

إذا مِتُّ فادْفِنِّي إلىٰ جنب كرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها

ولا تَدْفِنَنّي بالفَلاة فإنّني ... أخاف إذا مَا مِتُّ ألّا أذُوقُها

أُباكِرُها عند الشروقِ وتارةً ... يُعاجلني بعد العشيّ غَبوقُها

يفتتح أبو محجن قصيدته مستعملًا (إذَا) في قوله: "إذا مِتُّ"، حتىٰ يعلِّق مضمون القصيدة كاملًا علىٰ الشرط، وفي معناها يقول الخطيب القزويني:

"الأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه،... وغلب لفظ الماضي مع (إذا) لكونه أقرب إلىٰ القطع بالوقوع نظرًا إلىٰ اللفظ"(٢).

---

(١) ينظر: الإلياذة لهوميروس(٧٩) ترجمة: سليمان البستاني، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٨م.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبو عبدالله محمد القزويني، تـ ٧٣٩هـ (٢/ ١١٧) دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٨م.

وما الموت إلّا واقعٌ حتما فناسب استعمال أداة الشرط موضعها، وفوق ذلك تزيد (إذا) عن غيرها من أدوات الشرط بأنّ جوابها يكون معلومَ الوقت غير مبهم كأخواتها(١)، أي أنَّ هذا الشرط المعقود بـ (إذا) مدته محددة ومعلومة لكلٍّ من طرفي المحادثة.

(إذا متُّ)، ومعنىٰ المعنىٰ أنّ تلك وصيتي وينبغي عليكم التنفيذ، قَالَ ابْن السّكيت:" قَوْله: "إذا مِتُّ فادْفِنِّي" هَذَا خطابٌ مَعَ ابْنه يَأْمُرهُ بذلك، وَفِيه مُبَالغَة علىٰ حبه للخمر وتعطشه إِلَيْهَا؛ إِذْ أظهر الرَّغْبَة إِلَيْهَا وَهُوَ ميت"(٢).

ثم يأتي بجواب الشرط فِعْلَ أمرٍ مقرونًا بالفاء (فادفنّي)، وهذه (الفاء) الواقعة في جواب الشرط ترىٰ وكأنها أضمرت في طياتها الزمن واستحضرت المستقبل، وعن طريقها استطاع المخاطَبُ أن يبني في ذهنه صورة للحدث؛ لينشئ في مُخَيِّلَتِه الصورة المعنوية التي سيبني عليها بقية أحداث القصيدة، وها هي صورة أبي محجن وهو يُدْفن تملأُ وجدان المخاطَب وخاطره، يقول الدكتور محمد أمين الخضري:

"إذا كنَا نُسلِّم بأن الصورة التعبيرية ترجمة للحركة الذهنية والنفسية تقوم الألفاظ فيها بدور الناقل لسبحات الفكر وخطرات النفس، علىٰ هيئة تَتَابُعها في نفس

(١) يقول سيبويه: "سألت الخليل عن (إذا)، ما منعهم أن يجازوا بها؟، فقال: الفعل في (إذا) بمنزلته في (إذْ)، إذا قلتَ: أتذكر إذ تقول، فـ (إذا) فيما تستقبل بمنزلة (إذْ) فيما مضىٰ، ويبيّن هذا أنّ (إذا) تجيء وقتًا معلومًا، ألا ترىٰ أنك لو قلت: أتيك إذا احمر البسر كان حسنًا، ولو قلت: آتيك إن احمر البسر كان قبيحًا، فـ (إنْ) أبدًا مبهمة، وكذلك حروف الجزاء". الكتاب، لعمرو بن عثمان المعروف بـ: سيبويه تـ١٨٠هـ(٣/ ٦٠) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي تـ ١٠٩٣هـ(٨/ ٤٠٣) تحقيق: عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

المنشئ وترَتُّب أغراضه، أو علىٰ الهيئة التي يُراد للمتلقي أن يُتَصوَّرَها عليها، فإن (الفاء) تؤدي دورها في ترتيب المعاني طبقًا لقصد المتكلم، أو مراعاةً لحال مخاطَبه وحركة فكره في تصوره للمعنىٰ وربطه بينها"[(١)].

(فادْفِنِّي إلى جنب كرْمَةٍ)، ثم يزيد أبو محجن من متعلقات الفعل بقوله: (إلى جنبِ كرْمةٍ)، وذلك ليبين موضع الدَّفن والهيئة التي يكون عليها دفنه، فكلما زادت المتعلقات في الجملة زادت الإفادة وظهر المطوي في الضمير، وكأنما تلك هي الأمنية التي يريد أن يستبقي عليها أبو محجن من هذه الدنيا، وهي أنْ يُدفن إلىٰ جوار شجرة الكرم التي يصنع منها الخمر، فقد غلب عشقه للخمر ما في الدنيا من نِعَمٍ أُخَر علىٰ تنوعها واختلافها.

وفي استعمال (إلى) التي تدل علىٰ الانتهاء مطلقًا أي: منتهىٰ عموم الزمان والمكان، ومن معانيها كذلك المصاحبة، وتبيين التعجُّب أو التفضيل سواء كانا عن حبٍّ أو بُغْض، فكل هذه المعاني تحتملها (إلى[(٢)])، أي: إذا جاء منتهىٰ زمني بالموت، فاجعل مُنتهىٰ مكاني إلىٰ جنب كَرْمَة كما أبانت كذلك عن تفضيله وحبِّه لهذا الجَنَاب وذلك باستعماله (إلى)[(٣)].

وفي استعماله الجَنْب دون الجوار، كأن يقول: "إذا متُّ فادْفني إلىٰ جوار كرمة"؛ لأن في الجَنْبِ أمرين زائدين في معناها، أحدهما: أن في معناها اعتزال

---

(١) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، (الفاء) و(ثم)، المؤلف: محمد أمين الخضري(٢٠) مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤ه/ ١٩٩٣م.

(٢) ينظر: شرح تسهيل الفوائد، لأبي عبد الله، محمد بن مالك تـ ٦٧٢هـ(٣/ ١٤١) تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون- هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) يقول ابن مالك في معنىٰ (إلىٰ): "نبهتُ بقولي و(للتبيين)، علىٰ المتعلقة في تعجب أو تفضيل بحبّ أو بُغْض، مبيّنة لفاعليّة مصحوبها". ينظر: شرح تسهيل الفوائد(٣/ ١٤٢).

الناس، والآخر: شدة العطش حتىٰ تلتصق الرئة بالجنبين(١)، وهذا الذي يتماشىٰ مع الدّفنِ لأن فيه عزلة، أمَّا من جهة شدة العطش فعاشق الخمر دوما ما يطلبها، ولن يتضح هذا المعنىٰ إذا استعمل لفظة (جوار)، لوجود مسافة فاصلة بين المتجاورين وإلا كانا متشاركين.

أمَّا اللطائف البلاغية في اختياره لفظة (**كَرْمَةٍ**)، فقد استعملتها العرب في معنىٰ الكَرَم وهو الكثرة، ويُرِيدُونَ بذلك كَرَم شَجَرَةِ الْعِنَبِ لِمَا ذُلِّل مِنْ قُطوفها وثمرها عِنْدَ اليَنْع، وكَثُرَ مِنْ خَيْرِها وأَنه لَا شَوْكَ فِيهِ يُؤْذي الْقَاطِفَ(٢)، فخَفَّفَتها الْعَرَبُ حتىٰ صارت (**الكَرْم**) ثم أطلقوها علىٰ شجرة العنب.

فيمكن القول بأن (**كَرْمَة**) من الكنايات البعيدة بالنسبة لأصل معناها، فهي كناية عن صفة الكثرة، فقد كانت العرب تقول: "هذه البلدة إنما هي كَرْمةٌ ونخلة، يعنون: بذلك الكثرة"(٣)، ثم اشتهر العنب بذلك للعلة التي أشار إليها ابن منظور، ثم بُنيت علىٰ صفة الكثرة هذه كناية أخرىٰ كناية عن موصوف، ألا وهي شجرة العنب ذاتها، وهكذا تتوالد المعاني.

ومن المعقول جدًّا أن القائل لم يكن قد انتبه إلىٰ كل تلك الأوجه في اللفظة الواحدة، ولكنها مستنبطة من عموم التركيب الذي أراد إيصال معناه للمخاطب، فإن المعنىٰ يتولّد في فكر الشاعر أولًا، ثم يبحث له عن لفظ يكون له كسوة، وطريقة بناء القصيدة قد أشار إليها ابنُ طباطبا العلوي قائلًا:

---

(١) يقول ابن فارس في معنىٰ (جَنَبَ): "قَعَدَ فُلَانٌ جَنْبَةً، إِذَا اعْتَزَلَ النَّاسَ...وَالْجَنَبُ: أَنْ يَشْتَدَّ عَطَشُ الْبَعِيرِ حَتَّىٰ تَلْتَصِقَ رِئَتُهُ بِجَنْبِهِ". مقاييس اللغة(١/ ٤٨٣).

(٢) ينظر: لسان العرب(١٢/ ٥١٤).

(٣) العين(٥/ ٣٦٩).

"إذا أراد الشاعر بناء قصيدة، مخَّض المعنىٰ الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعدَّ له ما يُلْبِسُهُ إيّاه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنىٰ الذي يرومه، أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني، علىٰ غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلِّق كل بيت يتفق له نظمه علىٰ تفاوت بينه وبين ما قبله، فإذا كمُلت له المعاني وكثُرت الأبيات، وفَّق بينها بأبيات تكون نظاما لها وسلكا جامعا لما تشتت منها، ثم يتأمل ما قد أدَّاه إليه طبعه، ونتجته فكرته، فيستقصي انتقاده، ويرمَ ما وَهِيَ منه، ويبدلَ بكل لفظة مستكرهة لفظةً سهلة نقية"(١).

وبالتأمل في تناسق الألفاظ التي بنىٰ منها أبو محجن مستهل القصيدة، نجد أنه قد أبان عن الغرض من قصيدته بلفظ سهل أضاف الحُسْن علىٰ مُفتتحه، ويقول ابن رشيق القيرواني في حُسن الابتداء:

"حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح... وبعد، فإن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل علىٰ ما عنده من أول وهلة، وليجتنب (ألا) و (خليلي) و (قد) فلا يستكثر منها في ابتدائه"(٢).

وقد أجاد أبو محجن في التعبير عن مراده، وتمت الإبانة عن الغرض من القصيدة ومضمونها، وذلك كله في شطر بيت وبلفظ عذبٍ سَلِسٍ، ولم ينحرف عن قواعد الفصاحة التي وُضِعَت لسلامة الألفاظ من العيوب التي تخل بفصاحتها، فحاز

---

(١) عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي تـ ٣٢٢هـ(١١) تحقيق: عباس عبد الساتر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علىٰ الحسن بن رشيق القيرواني تـ ٤٦٣ هـ(١/ ٢١٨) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ابتداؤه الحُسن واستهلاله البراعة، وعلىٰ مقدار حبكته للكسوة اللفظية، جاء الجمال في العبارة والوضوح للمعنىٰ.

إذا مِـتُّ فـادْفِنِّي إلـىٰ جنـب كرْمَـةٍ تُـرَوِّي عِظـامي بعـد مـوتي عُرُوقُهـا(١)

ثم ينتقل أبو محجن إلىٰ الشطر الثاني وذلك عن طريق الفصل بين الجملتين، جملة (**فادْفِنِّي إلى جنب كرْمَةٍ**) وجملة (**تُرَوِّي عِظامي بعد موتي**) وجاء هذا الفصل لعلّتين:

الأولى منهما: أن الفعل فعل مضارع مثبت غير منفي، فالقول فيه أنه يأتي عاريًا من (الواو)(٢).

وأمَّا **الأخرى**: فلشِبْه كمال الاتصال، حيث وقعت الجملة الثانية بمنزلة المتصلة؛ لكونها جوابًا لسؤال اقتضته الجملة الأولىٰ، فوجب الفصل بين الجملتين كما يُفصل بين السؤال والجواب، وكأنَّ أبا محجن قد توهم أنَّ سائلًا قد سأله لماذا تريد الدفن إلىٰ جنب الكرمة؟، فكان الجواب تروِّي عظامي بعد موتي؛ ولكوْن السؤال مقدرًا وجب الإتيان بالفعل في الجواب(٣).

(١) اللغة: تُرَوِّي: التَّرْوِيةُ: أن تُروي شيئًا فيكْثُر عليك حتّىٰ يشتدّ رِيُّهُ. ينظر: العين(٨/ ٣١٢).

(٢) يقول عبد القاهر الجرجاني: "إن كانِت الجملةُ من فِعْلٍ وفاعلٍ، والفعلُ مضارعٌ مُثْبَتٌ غيرُ منفيٍّ، لم يكَد يَجيء بـ (الواوِ)، بل تَرىٰ الكلامَ علىٰ مَجيئها عاريةً منَ (الواو). دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني تـ٤٧١هـ(٢٠٤)، تحقيق: محمود محمد شاكر- مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٣) ينظر: دلائل الاعجاز(٢٣٩).

والغرض من هذا الفصل إغناء السامع عن السؤال حتىٰ لا ينقطع الكلام بكلامٍ آخر فيتفلت المعنىٰ المراد أو يضيع(١)، وباب (فصل الكلام ووصله) من الأبواب التي تدلل علىٰ فصاحة القائل وتمكُّنه من أداته، ففي فضل العلم بأحوال الجُمَل والفصل والوصل بينهما يقول الخليفة العباسي المأمون (المتوفىٰ ٢١٨هـ) لبعضهم:

"مَنْ أبلغُ الناسِ؟، فقال: من قرّب الأمر البعيد المتناول، والصّعب الدرك بالألفاظ اليسيرة، قال: ما عدَل سهمُك عن الغرض، ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يُجَلِّ الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ، ولا يُكْرِهُ المعاني علىٰ إنزالها في غير منازلها، ولا يتعمّد الغريب الوحشيّ، ولا الساقط السُّوقيّ، فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفةُ بمواضع الفصل والوصل، كانت كاللآلئ بلا نظام"(٢).

وفي اختياره (تُرَوِّي) بالتشديد ليدلل علىٰ الكثرة مع تتابعها، فإنك ترىٰ السكران ظمئًا مشتدًّا رِيُّه ودوما ما يحتاج إلىٰ الاستزادة(٣)، ثمَّ قدَّم المفعول به في قوله: "عظامي" علىٰ المسند إليه وهو قوله: "عُرُوقُها"، وفي تقديم المفعول به اختصاص واهتمام وعناية بالـمُقَدَّم.

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٣/ ١١٩).

(٢)كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري تـ ٣٩٥هـ(٤٣٨) تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٣) يقول الخليل: "التَّرْوِيةُ: أن تُروِّي شيئًا فيكْثُر عليك حتّىٰ يشتدّ رِيُّهُ، كما تقول: رُوّيتُ السَّوِيقَ من الماء وغيره". العين(٨/ ٣١٢).

واختص العظم دون غيره من أعضاء الجسم لقوته وشدته وطول بقائه إلىٰ أنْ يبْلىٰ(١)، وكذلك هو الذي يعتمد عليه الإنسان في معيشته ويتقوىٰ به لأنه عمود الجسم(٢)، فقدمه لأنه الأهم في بناء الجسم، وإلىٰ المعنىٰ من تقديم المفعول به أشار العصام – صاحب الأطول – قائلًا:

"ويفيد في الجميع أي: في جميع صور تقديم متعلقات الفعل وراء التخصيص بعد نكتة التخصيص اهتماما بالمقدَّم، وفيه أنه لا وجه لتخصيص الاهتمام بما سوىٰ التخصيص، إذ لا ينفك التقديم عن الاهتمام؛ لأنهم إنما يقدمون الأهم"(٣).

أمّا ما فوق إفادة التخصيص الذي ينبع من التقديم، وهو أن أبا محجن رتب الكلمات في عبارته كي تدلل علىٰ أحوال نفسه وما يثار فيها من معانٍ وصور، وكأن أبا محجن لا يريد أن يفصل بين عظامه وبين التروية بفاصل، فقدَّم الأهم بالنسبة له حتىٰ ينقل هذا الاهتمام إلىٰ المخاطب فيتفاعل معه؛ ولذا صاغ بيته مكيفًا بكيفية مخصوصة، ويشير الخطيب القزويني إلىٰ هذه الوِجهة قائلًا: "أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه؛ فلكونه في نفسه نصُبَ عينك والتفات خاطرك إليه في

(١) الْعَظْمُ: مَعْرُوفٌ، وَهُوَ سُمِّي بِذَلِكَ لِقُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ. مقاييس اللغة،(٤/ ٣٥٥).

(٢) يقال: دَقّ عَظْمُ فلان: إذا ضعف ورقت حاله، ومن ذلك قيل في عبارة الرؤيا: إن عظام الإنسان ماله الذي يعتمد عليه في معيشته ويتقوىٰ به. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم– لنشوان بن سعيد الحميرىٰ اليمني تـ ٥٧٣هـ(٧/ ٤٦١٥)تحقيق: حسين العمري، وآخرون– دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر (دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٣) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين تـ ٩٤٣هـ(١/ ٥٢٨) تحقيق: عبد الحميد هنداوي– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

التزايد، كما تجدك قد مُنِيتَ بهجر حبيبك، وقيل لك: ما تتمنىٰ؟، تقول: وجه الحبيب أتمنىٰ"(١).

(**تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها**)، وفي قوله: **"بعد موتي"** تتميم(٢)، وكأنه يريد أن يؤكد مضمون الجملة الشرطية ويبالغ في توكيدها، فالدفن لا يكون إلا بعد الموت ، وقد صرح بذلك في الاستهلال، ويُستنبط من هذا التتميم الإحساس بالزمن وكأنه قد امتد ولا يزال يمتد، فكأن العظام ستظل عظامًا ولن تبلىٰ، وهو يريد هذه التروية لعظامه؛ حتىٰ تمتد إلىٰ أزمانٍ سحيقة بعد موته.

أمّا قوله: **"عُرُوقُها"**، فهي المسند إليه الذي تأخر وطال انتظاره، ويريد الشاعر من ذلك التأخير إلهاب مشاعر المخاطبين لمعرفة كُنْه وحقيقة المسند إليه الذي سيقوم بالتروية للعظام بعد الموت، فأفصح عنه أبو محجن بعد تشويق لمعرفته في قوله: **"عُرُوقُها"**، فعروق أشجار الكرْم هي التي ستقوم بري العظام، وكلّما نَمَتْ هذه العروق وامتدتْ كلما ازداد رِيُّه وانطفأ ظمؤه، وما اختيار موضع الدفن إلا دليلٌ علىٰ الشغف والتعلق بالخمر.

وفي إسناد الفعل (**تُرَوِّي**) إلىٰ المسند إليه المؤخر وهو قوله: **"عُرُوقُها"** إسنادٌ مجازيٌّ، أمَّا إثبات التروية للعروق فهي من قبيل الاستعارة المكنية التخييلية، وبيان الوِجْهتين:

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة(٢/ ١٦٨).

(٢) التتميم هو: أن يؤتىٰ في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة، كالمبالغة. السابق(٣/ ٢١٣).

فأمّا المجاز العقلي: فقد جاء من إسناد المسند وهو الفعل (**تُرَوِّي**)، إلىٰ (**عُرُوقُها**) المسند إليه وهذه العروق لا يتأتىٰ منها تروية لكنها ستكون سببًا في ريِّ عظامه، إذ إنها القائمة علىٰ ريِّ شجرة الكرم ذاتها، فأسند الفعل إلىٰ الفاعل إسنادًا عقليًّا والعلاقة السببية، هذا من جهة الإسناد.

أما من جهة الإثبات، ففي الجملة استعارة مكنية، حيث شبه العروق بالقادر علىٰ فعل التروية، أو شبَّهَهَا بالأوردة التي تلتف حول العظام وترويها، ثم حذف المشبه به وهي الأوردة أو القادر علىٰ فعل التروية، وجِيء بلازم من لوازمه وهو فعل التروية ذاته علىٰ سبيل الاستعارة المكنية؛ لأن المحذوف هو المشبه به، وعند الخطيب أن قرينة الاستعارة المكنية هي الاستعارة التخييلية، فإثبات فعل التروية للعروق استعارة تخييلية، بها أقام في الذهن صورة نادلٍ قائمٍ علىٰ أمر أبي محجن بعد موته يسقي عظامه الخمر، وهذا النادل الذي أقام صورة له حقيقته من عروق شجرة الكرم.

أو أن عروق شجرة الكرم قد صارت له كأوردةٌ تنبض بالحياة، ملتفة علىٰ عظامه، وتسيل علىٰ تلك العظام السائل الخام لشجرة الكرم، فتصطبغ بها العظام وتنتشي، واستبدل الدم ومكوناته بخلاصة الخلاصة للخمر من العروق حتىٰ تكون أشدَّ تأثيرًا.

وجملة (**تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها**) كاملة تذييل[1] للجملة الأولىٰ، فقد أعقب الجملة الأولىٰ بجملة تشتمل علىٰ معناها، وكما ترىٰ أنها علَّة لها بغرض تأكيد مفهومها في نفوس المخاطبين.

---

(١) ينظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، للعلامة سعد الدين التفتازاني تـ ٧٩٢هـ(٤٩٦) تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

وفيها كذلك من حسن التعليل، فقد علَّل لاختياره أن يكون إلىٰ جنب الكرمة بقوله: (**تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها**)، وهذا من باب حسن التعليل، فقد زاد هذا المحسن البديعي المعنوي من جمال التذييل الذي أتمَّ به أبو محجن بيته، فنظر إلىٰ شجرة الكرم بلطف ودقة ، ثم ادعىٰ علة مناسبة وهي ثابتة في شجر العنب أصلٌ للخمر ومنها تُعصر، قاصدًا من وراء ذلك إظهار علَّة اختيار هذا الجَنَاب، وهو ألّا ينقطع رِيُّه من الخمر.

ثم يبني علىٰ هذه العلَّة صورة أخرىٰ؛ لتكون عونًا في إيضاح المشهد كاملًا، وإيضاح الصورة في خاطر المخاطبين وعقولهم، وعن طريقها ينتقل إلىٰ البيت الثاني الذي يصرح فيه بخوفه إن دُفِن بأرضٍ فلاة ليس فيها ما يروِّي عظامه، ويأتي هذا الانتقال عن طريق الوصل بـ (**الواو**) بين الجملتين، وحين يستعمل الشاعر العطف، فإنه يريد الاستغناء به عن الحكاية؛ لأن المخاطب يعلم أنه عاطف علىٰ كلامه؛ إذ العطف لا يُبتدأ به[1]، فيتغنىٰ قائِلًا:

ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاة فإنّني ... أخاف إذا مَا مِتُّ ألّا أذُوقُها

فَيَصِلُ بين جملة (**تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقُها**) وجملة (**ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاة**)، وقد جاء بالعاطف لكمال الانقطاع بين الجملتين، فالأولىٰ: خبرية، والثانية: إنشائية، ولو تُرك العطف لتوهم أن الموصَىٰ له لن يأخذ الأمر علىٰ محمل الجد وهذا غير المراد، فإن أبا محجن مع العطف سيشرك مضمون الجملة الثانية مع مضمون الأولىٰ في حكم واحد، وكأنه يذكر له الشيء ونقيضه؛ لكي يبين له المكان

(١) ينظر: التعليقة علىٰ كتاب سيبويه- للحسن بن أحمد الفارسيّ تـ ٣٧٧هـ(٢/ ١١٧) تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي- كلية الآداب- الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

الذي يُحب، والمكان الذي يكرهه لئلا يخطئ الموضع، فالجهة الجامعة بين الجملتين هي التضاد، وقد كان الحرث بن أبىٰ شمر الغسّانىٰ يقول لكاتبه:

"إذا نزع بك الكلام إلىٰ الابتداء بمعنىٰ غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الألفاظ، فإنك إن مذَّقْتَ ألفاظك بغير ما يحسن أن تُمذَّق به نفّرت القلوب عن وعيها، ومَلَّته الأسماع، واستثقلته الرواة"(١).

ثم جعل أبو محجن من طباق السلب(٢) الكائن بين قوله: "ادفِنِّي" فعل الشرط في البيت الأول، وقوله: "ولا تدفِنَنِّي" صدر البيت الثاني، الممر الآمن ليعبِّر عن مراده بدقة، ومضمونه أنّ أيَّ موضعٍ غير المذكور فهو موضع مكروه وغير مراد، ويزيد من التأكيدات عن طريق نون التوكيد التي تؤكد للمخاطب أهمية هذا الأمر بالنسبة لقائله، وأكَّد الفعل المضارع لوقوعه بعد طلبٍ وهو النهي؛ ولأن معنىٰ الفعل المضارع قريب من الوجوب.

ومعنىٰ المعنىٰ: فكأنَّ المعتاد في دفن الموتىٰ عندئذٍ هو الدفن في الفلاة؛ ولأن طلب أبي محجن جاء علىٰ غير ما اعتاده الناس عند الدفن، أكَّدَه بنون التوكيد الثقيلة مع إسناده إلىٰ ياء المتكلم، واجتماع كل من النهي والتوكيد والإضافة يشعر المخاطب بما في نفس أبي محجن من الكراهة والنفور إذا دُفِن في هذا الموضع وعلىٰ تلك الحال.

---

(١) كتاب الصناعتين(٤٤٠).

(٢) طباق السلب هو: الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، (٣١٩).

وعلىٰ ذلك فقد خرج النفي في قوله: "**ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاة**"، عن معناه الأصلي، ليخرج الكلام عن مقتضىٰ الظاهر إلىٰ معنىٰ مجازي وهو الكراهة، فكأن أبا محجن حين كان يتعاقر الخمر يكره أن ينشغل عنها أو أن يبتعد حتىٰ لو كان المباعد بينهما هو الموت، فآثر أن يوصي مُجالسيه بما عليهم فعله إذا حضره الموتُ، فحدد لهم المكان الذي يريد أنْ يدفن فيه، ثم ذكر لهم المكان الذي يكره أن يكون هو المثوىٰ الأخير له، فعُطفتْ علىٰ جملة (**فادْفِنِّي إلى جنب كرْمَةٍ**) فكأنه يريد عن طريق العطف التأكيد علىٰ دفنه إلىٰ جنب كرمة، عن طريق الأمر بهذا تارةً وتارةً أخرىٰ عن طريق النهي عن الدفن في الفلاة.

ثم يفاضل بين الألفاظ التي تُطْلق علىٰ الصحراء؛ ليختار من بينهما (**الفلاة**)، التي توحي بالعزلة والخواء فلا زرع أو ماء تتحسّسه من عموم اللفظ(١)؛ وذلك ليشعرهم بالوحشة والاغتراب إن هو دُفن في فلاة جرداء، يقول ابن الْمُلَّا(٢) في تعليقه علىٰ هذا البيت:

"وَهَا هُنَا بحثٌ وَهُوَ أَن الشَّاعِر وَإِن كَانَ من المغرمين بالصهباء المتهتكين بهَا لكنه من ذَوي الْعُقُول الْكَامِلَة والأنظار الصائبة فَكيف يظنّ بِهِ أَنه غير قَاطع بِمَا

(١) الفَلاة: القَفر مِنَ الأَرض لأَنها فُلِيَت عَنْ كُلِّ خَيْرٍ، أَي: فُطِمت وعُزِلت، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا. ينظر: لسان العرب(١٥/ ١٦٤).

(٢) هو: إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي، ابن الُملاَّ الحصْكَفي، ويعرف بابن المنلا، أصله من حصن كيفا في ديار بكر، مولده ووفاته بحلب، أديب وشاعر، وله مؤلفات منها: حلبة المفاضلة في المطارحة والمراسلة، وأبكار المعاني المخدرة، اقتطاف شقائق النعمان من رياض الوافي بوفيات الأعيان وغيرهم، (توفي: ١٠٣٢هـ). ينظر: الأعلام للزركلي(١/ ٣٠).

يتيقنه غَيره من عدم الذَّوْق بعد الْمَوْت بل هُوَ أمرٌ مركوز فِي الأذهان غنيٌّ عَن الْبَيَان"(١).

وَإِنَّمَا جرىٰ أبو محجن فِي كَلَامه هَذَا علىٰ مَذْهَب الشُّعَرَاء فِي تخييلاتهم وأخذ سلوك تمويهاتهم ، ثم يُكْمِلُ البيت قائلًا:

ولا تَــــدْفِنَنِّي بـــــالفَلاة فـــــإنّني ... أخـــاف إذا مَـــا مِـــتُّ ألّا أذُوقُهـــا

ويُعلّل لنهْيِهِ عن دفنه بالفلاة كما علَّل لاختياره جناب شجرة الكرم بقوله: (**فإنَّني أخافُ إذا مَا مِتُّ ألَّا أذُوقُها**)، فليس النهي خوفًا من الفلاة وإنما الخوف من الحرمان والبُعْد عنها، ومعلومٌ أنه لا إحساس بعد الموت أو شعور ولذة، إلىٰ غير ذلك من الأمور، التي تعتري الأحياء حتىٰ يخاف الوحشة، وإنما جاء من باب حسن التعليل؛ ليوضح للمخاطب مقدار تعلُّقه بالخمر وخوفه إذا ابتعد عنها.

ثم عطف جواب النهي بـ (**الفاء**)؛ لأنها هي التي يصح معها عطف المفصل علىٰ المجمل، فجملة (**فإنَّني أخافُ إذا مَا مِتُّ ألَّا أذُوقُها**) تفصيلٌ لعلة النهي عن الدفن بالفلاة، ولا يتأتىٰ ذلك بغير (**الفاء**)، فعلل لأَنَّهُ يتَيَقَّن أَنه لَن يذوقها إِذا مَاتَ ولَن يتروَّىٰ بهَا حَقِيقَة، فدفنه إلىٰ غير جَانبهَا مفوت للتروية المجازية.

أما من جهة استعماله لمادة الخوف دون الخشية(٢)، فذلك لأن الخوف ضَعْفٌ في الخائف وليس قوة في المخوف منه، وذلك بخلاف الخشية فإنها تكون من

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب(٨/ ٤٠١).

(٢) يقول الزركشي: "الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ لَا يَكَادُ اللُّغَوِيُّ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَشْيَةَ أَعْلَىٰ مِنَ الْخَوْفِ، وَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْخَشْيَةَ تَكُونُ مِنْ عِظَمِ الْمَخْشِيِّ وَإِنْ كَانَ الْخَاشِي قَوِيًّا، وَالْخَوْفُ يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ الْخَائِفِ وَإِنْ كَانَ الْمُخَوِّفُ أَمْرًا يَسِيرًا". البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي تـــ ٧٩٤هـ(٤/ ٧٨) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

عظم المخشيّ منه، وكأن المخافة تنبع من داخل أبي محجن، وأنَّ حبه للخمر أورثه ضعفًا ، حتىٰ إنه يخاف إذا باعد الموت بينهما.

وأمَّا قوله: "إذا ما مِتُّ"، فهو تتميم للمعنىٰ؛ لأن الكلام لا يوهم غير المراد فأتىٰ بها للمبالغة في حرصه علىٰ الخمر حتىٰ بعد الممات، وجملة (أذُوقُها) مرفوعة لكونها خبرًا، و(أنْ) المخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أو ضمير متكلّم محذوف، فرفع الْفِعْل بعد (أَنْ) دَلِيل علىٰ المعنىٰ الذي يريد، وذلك لأنَّ تروية الْعِظَام مجازية فالريَّ حَقِيقَة لذوات الأكباد عَن عَطش وَالْعِظَام لَيْسَت مِنْهَا، وأَنه لَا عَطش بعد الْمَوْت؛ ليستفاد من ذَلِك عِلّة الْأَمر بالدفن الْمَذْكُور، إِشَارَة إِلَىٰ أَن مَا لَا يدْرك كُله لَا يتْرك كُله، وَإِذا تَعَذَّرَتْ التَّرويَة الْحَقِيقِيَّة فَلَا أقل من حُصُول التَّرويَة المجازية، ثم يفصل الكلام للاتصال المعنوي الذي يسير في جنبات القصيدة فيقول:

أُباكِرُهـــا عنـــد الشـــروقِ وتـــارةً يُعـــاجلني بعـــد العشـــيّ غَبوقُهـــا(١)

ثم يفَرِّع في المعنىٰ ليصور حاله بعد الدفن مع شجرة الكرم، والتفريع(٢) من المحسنات المعنوية التي تزيد الكلام حسنا وتُعلِّي من طبقته، فقد ثبت الحكم وهو أنه قد تمَّ دفنه إلىٰ جنب شجرة الكرم، ثم بنىٰ علىٰ إثبات الحكم صورة أخرىٰ،

(١) اللغة: أُباكِرُهَا: بَكَرْتُ إليه وبَكَّرْتُ، إذا أسرعت أي وقتٍ كان، وأبكرتُ الشيء: إذا فعلتهُ بكرةً، وقال قوم: كل من باكر إلىٰ الشيء وبادر فقد أبكر إليه. ينظر: مجمل اللغة-لابن فارس تـ ٣٩٥هـ(١٣٢) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، غَبُوقُها: يُقَال لشرب الْعشي وَأول اللَّيْل غبوق. ينظر: المخصص- لابن سيده تـ ٤٥٨هـ(٣/ ٢٠٦) تحقيق: خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) من المحسنات المعنوية التفريع: وهو أن يثبت لمتعلق حكم بعد إثبات له آخر علىٰ وجه يشعر بالتفريع والتعقيب. ينظر: المطول(٦٧٢).

وجاء تفريعه عن طريق الفصل بين جملة (**فإنَّني أخافُ إذا مَا مِتُّ ألَّا أذُوقُها**) في البيت السابق وجملة (**أُباكِرُها عند الشروقِ**)، وذلك لوقوع الثانية جملة فعلية فعلها مضارع فجاءت عارية من (**الواو**)، وكذلك لوقوع الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولىٰ، وعطفها عليها موهمًا لعطفها علىٰ غيرها، فلو عطف لتوهم أن العطف علىٰ جملة (**ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاة**) وهذا غير المراد، فإن الحديث عن حاله مع شجرة الكرم التي هي أصلٌ للخمر، وفي هذا المعنىٰ يقول الجرجاني:

"ممَا هو أصلٌ في هذا الباب أنَّك قد ترىٰ الجملةَ وحالُها معَ التي قبلها حالُ ما يُعْطَفُ ويُقْرَنُ إلىٰ ما قبلَه، ثم ثراها قَدْ وجبَ فيها تركُ العطفِ، لأمرٍ عرضَ فيها صارت به أجنبية مما قبلها"(١).

ففصل لشبه كمال الانقطاع(٢)، ولو عطف لتوهم أن ذلك من جملة العلل التي يعلل بها اختياره جَنَاب شجرة الكرم عند دفنه.

هذا وقد انتقل أبو محجن من تحديد موضع الدفن إلىٰ الحديث عن نفسه بعد الموت، وكأنه استغرق في الخيال واستحضر الصورة المعنوية في ذهنه، وبدأ يصورها للمخاطبين بلفظ سهل قريب من الأذهان، فالتفت(٣) من الحديث عن

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز(٢٣١).

(٢) شبه كمال الانقطاع: أن تكون الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولىٰ، لكون عطفها عليها موهمًا لعطفها علىٰ غيرها، ويسمىٰ الفصل لذلك قطعًا. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٣/ ١١٧).

(٣) الالتفات هو: التعبير عن معنىٰ بطريق من الطرق الثلاثة – الخطاب، الغيبة، التكلم – بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. الإيضاح في علوم البلاغة(٢/ ٨٦).

الدفن في جناب شجرة الكرم إلىٰ الحديث عن حاله إذا ما حضرته الوفاة وتمَّ الدفن علىٰ الوضع الذي حدد واختار، وتلك هي الحال التي سيكون عليها فيقول:

"أُباكِرُها عند الشروقِ"، فأمّا من جهة بناء الفعل المضارع علىٰ صيغة [فَاعَلَ] فأصل معنىٰ هذه الصيغة يدل علىٰ المشاركة فِي الفاعلية والمفعولية، وبيان ذلك كقولهم: "ضَارَبَ زيدٌ عمرًا"، فَإِن كلًّا من زيد وَعَمْرو من جِهَة الْمَعْنىٰ فَاعل ومفعول، إِذْ فَعَلَ كلُّ وَاحِد مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ مثل مَا فعل بِهِ الآخر(١).

وكأن أبا محجن يشير إلىٰ أنه قد أدرك الوقتين معًا، الشروق والبكور فالشروق سابق علىٰ البكور(٢)، فيرسم صورة له هو وشجرة الكرم حيث يتباكران سويًّا ويتشاركان أيهما يجالس صاحبه للشراب، فشجرة الكرم فاعلة تارة وتارة أخرىٰ مفعول بها، وكأن كل واحدٍ منهما يفاجئ صاحبه عند الشروق بدعوة الآخر للشراب، فَمَن بكَّر اليوم في الغد يكون مُبَكِّرًا به وهكذا، وهذا المعنىٰ نبع من استعمال مادة [بَكَرَ] علىٰ صيغة [فَاعَلَ]، وكأنه بنىٰ جملته علىٰ تلك الصيغة لإطالة أمد التبكير وتكراره.

أمّا أصل المعنىٰ اللغوي لمادة [بَكَرَ] ففيه معنىٰ السرعة أيًّا كان الوقت، وكذلك من معانيها المبادرة إلىٰ الشيء، وكذلك فإن معنىٰ باكر القطاف: أوَّل ما

---

(١) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع- للسيوطي تـ ٩١١هـ(٣/ ٣٠٤) تحقيق: عبد الحميد هنداوي- المكتبة التوفيقية، مصر، (د، ت).

(٢) سَاعَاتُ النَّهارِ: الشُرُوقُ، ثُمَّ البكورُ، ثُمَّ الغُدْوَةُ، ثُمَّ الضُّحَىٰ، ثُمَّ الهاجِرَةُ، ثُمَّ الظَهِيرَةُ، ثُمَّ الرَّوَاحُ، ثُمَّ العَصْرُ، ثُمَّ القَصْرُ، ثُمَّ الأصِيلُ، ثُمَّ العَشِيُّ، ثُمَّ الغُروبُ. ينظر: فقه اللغة وسر العربية، لعبد الملك بن محمد الثعالبي تـ ٤٢٩هـ(٢١٥) تحقيق: عبد الرزاق المهدي- إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

يُدرك منه[١]، وكأنه أراد بهذا اللفظ علىٰ هذه الصيغة أن يصنع صورة مجسمة لمناوبة كلٍّ من أبي محجن وشجرة الكرم مع سرعة في وقع الأحداث، بغرض مفاجئة كلٍّ منهما صاحبه بأنه قد قام بإعداد المجلس وهيأهُ للشراب، وكأن حالهما هذا قد صار ديدنًا لهما، وبذلك يكون أبو محجن أوَّل من يدرك خلاصة الخلاصة للخمر فيدرك التي تجري في عروق شجرة الكرم عند الإبكار، وهذه الصورة قد أَتَتْ من بناء الجملة الفعلية (**أُبَاكِرُهَا**) علىٰ الحال التي هي عليها.

وفي قوله: (**عنْد الشروقِ**)، فقد استعمل (**عنْد**) وهي أوْغل الظروف[٢] وأبْهَمُها؛ لأنها تقع علىٰ جميع الظروف القريب منها والبعيد، وأمّا الإبهام فمن جهة أنه ليس لَها أقطار تحصرها وَلَا نهايات تحيط بِها مجازا أو تمثيلا[٣]، فترىٰ مع هذا الظرف الصورة مبهمة فلا تدري هل أبو محجن يباكر شجرة الكرم أول الشروق أم آخره عند بدايات البكور؟، ولكنه نجح في رسم صورة ضمت الشروق والبكور معًا، وكذلك هيئته وهو يسرع ليلحق بلقاء شجرة الكرم باكرًا، تعلوه الهِمَّة وتكسوه العزيمة ، وكأنك تراه هو الذي يبادر.

---

(١) بِكارُ القطاف: جمع باكر وَهُوَ أول مَا يُدْركُ منه. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري الهروي تـ ٣٧٠هـ(١٠/ ١٢٨) تحقيق: محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: البديع في علم العربية، لمجد الدين الشيباني، المعروف بـ: ابن الأثير تـ ٦٠٦ هـ(١/ ١٦١) تحقيق: فتحي أحمد علي الدين- جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر: اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني تـ ٣٩٢هـ(٥٦) تحقيق: فائز فارس- دار الكتب الثقافية، الكويت، (د، ت).

أُباكِرُهـــا عنـــد الشـــروقِ وتـــارةً يُعـــاجلني بعـــد العشـــيّ غَبوقُهـــا

وجملة (**أُباكِرُها عند الشروقِ**) كناية عن نسبة(١) حبه للخمر ومداومته عليها في بكوره وعند غبوقه، فهذا هو حال أبي محجن الذي سيكون عليه مع شجرة الكرم بعد موته عند الشروق، هذا وكل الظن أنَّ هذه القصيدة إنما يغلب عليها طابع المسامرة ولهو الحديث، فالمبالغة التي تمتاز بها الصورة الفنية تجعلها وكأنها صورةٌ علىٰ مسرح هزلي، وليست التي تدل علىٰ معتقد قائلها.

أما في المساء فإن الأوضاع تتناوب فالغبوق هو الذي يعاجله، وعن طريق (**الواو**) يصل الكلام في قوله: "**وتارةً يُعاجلني**"، والجملة إذا وقعت حالاً ثم اقتضتْ (**الواو**)، فذاكَ لأن القائل مستأنِفٌ بها خَبَراً وغيرُ قاصدٍ إلىٰ أنْ يضُمَّها إلىٰ الفعلِ الأولِ في الإثبات(٢).

أمَّا علة الوصل بـ (**الواو**) هي التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنىٰ، فكلاهما جملة فعليه فعلها مضارع، والجامع بينهما هو التضاد وإلىٰ ذلك قد أشار الجرجاني(٣).

ثم بنىٰ أبو محجن الفعل المضارع في الجملة الثانية علىٰ صيغة [فَاعَلَ] في قوله: (**يُعاجلني بعد العشيّ غَبوقُها**)، علىٰ منوال الجملة الأولىٰ، لكي يشير إلىٰ

---

(١) الكناية عن نسبة هي: إثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه، أو تخصيص الصفة بالموصوف لا علىٰ طريق الحصر. ينظر: المطول(٦٣٤).

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز(٢١٣).

(٣) يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلمْ أنه كما يجبُ أن يكونَ المحدَّثُ عنه في إحدىٰ الجملتين بسببٍ من المحدَّثِ عنه في الأخرىٰ، كذلكَ ينبغي أنْ يكونَ الخبرُ عن الثاني مما يَجْرِي مَجْرىٰ الشبيهِ والنظيرِ أو النَّقيضِ للخبر عن الأولِ". دلائل الإعجاز(٢٢٥).

المشاركة بينه وشجرة الكرم لإحداث الفعل معًا، وكأنهما نديمان قد صارا ولهما نفس الاهتمام والرغبة، وإذا ما تأملت سترىٰ أن الضمير يعود علىٰ شجرة الكرم لكن المقصود أنها كناية عن الخمر ومجلسِها، وكأن أبا محجن يصور مجلس الخمر الكائن في الدنيا، وأنه سيقيم مثله بعد موته إذا ما تمَّ دفنه إلىٰ جنب شجرة الكرم؛ لكي يتسامرا سويًّا، ويكونا هما الندماء ولا ثالث لهما؛ فيأخذ نصيبه كاملا غير منقوص ليروي غلته وينطفئ ظمؤه، وذلك كله لإظهار مقدار محبته للخمر وتعلقه بها.

ولأنَّ الفاعل والمفعول متشاركان ومتناوبان وذلك من معنىٰ صيغة [فَاعَلَ] التي بنىٰ فِعْلَي الجملتين عليها، مع فعلية الجملة الذي يُدلِّلُ به علىٰ التجدد والمغايرة، فالمعنىٰ أنَّ الارتواء من الخمر في البكور أو العشي أمرٌ متجدد لا ينقطع، وكأن الخليلين قد التقيا فأهلا ومرحبا بالسمر والمنادمة.

وتقديم الظرف (**بعد العشيّ**[1]) علىٰ المسند إليه (**غَبوقُها**)، فيه اهتمام وإشارة إلىٰ معنىٰ أن أبا محجن لم يستفق بعد من شراب بكوره، فتراه قبل بداية الليل يعاجله الغبوق بإعداد مجلس الشراب ولم يأت الليل بعد، فالعشي سابق علىٰ الغروب، فتلك هي أواخر ساعات النهار، ولذلك قدَّم الظرف (**بعد العشيّ**) لعناية خاصة أظهرت مراد أبي محجن في كون مجلس الشراب سيكون مُعدًّا قبل موعده والغبوق ذاته هو الذي سيعاجله، و(**غَبوقُها**[2])، كناية عن نسبة الشرب لأوَّل الليل، وفي ذلك يقول ابن سَيدَه: يُقَال لشرب الْعشي وَأول اللَّيْل: غبوق[3].

---

(١) سَاعَاتُ اللَّيلِ: الشَّفَقُ، ثُمَّ الغَسَقُ، ثُمَّ العَتَمَةُ، ثُمَّ السُّدْفَة، ثُمَّ الفَحْمَةُ، ثُمَّ الزُّلَّةُ، ثُمَّ الزُّلْفةُ، ثُمَّ البُهْرَةُ، ثُمَّ السَّحَرُ، ثُمَّ الفَجْرُ، ثُمَّ الصُّبْحُ، ثُمَّ الصَّباحُ. فقه اللغة وسر العربية(٢١٥).

(٢) في تَفْصِيلِ أَوْقَاتِ الشرْبِ: الجَاشِرِيَّةُ: شُرْبُ السَّحَرِ، الصَّرُوحُ: شُرْبُ الغَدَاةِ، القَيْلُ: شُرْبُ نِصْفِ النَّهَارِ، الغَبُوقُ شُرْبُ العَشِيِّ. فقه اللغة وسر العربية(١٢٧).

(٣) ينظر: المخصص(٣/ ٢٠٦).

وينقل أبو محجن المخاطب إلىٰ عالم الخيال عن طريق الاستعارة في قوله: **"يُعاجلني بعد العشيّ غَبوقُها"**، حيث شبه الغبوق، وهو شرب العشي، بإنسان يحثُّ ويستنهض أبا محجن علىٰ الشراب، وأكثر من ذلك فالغبوق هو القائم علىٰ الجِلْسة وعُدَّتها، وكذلك يفعل أبو محجن معه فهما متشاركان في إنشاء الفعل، التعجيل يأتي مرة من الغبوق وأخرىٰ من أبي محجن، فشخَّص الغبوق في عقل المخاطب عن طريق الاستعارة، ثم حذف المشبه به وهو الشخص وأبقىٰ لازمًا من لوازمه وهو التعجيل، وفي إثبات (**يُعاجلني**) إلىٰ (**غَبوقُ**) استعارة تخييلية، حيث تخيَّل أن وقت الغبوق شخص يعاجله، فتكتمل الصورة في ظنون المخاطبين وكأنه قد أجلسهم معه في مجلسه هذا بعد موته.

أمَّا عن إسناد (**يُعاجلني**) إلىٰ (**غَبوقُ**) فهذا الإسناد من قبيل المجاز العقلي وعلاقته الزمانية، فأسند الفعل إلىٰ زمانه الذي يكون فيه لارتباطه به، وبين قوله: **"أُباكِرُها، الشروقِ"**، وقوله: **"العشيّ، غَبوقُ"**، فكل قرينين بينهما مراعاة للنظير(١)، حيث جمع بين كل أمر وما يلائمه، فزاد هذا المحسن من وضوح الصورة وظهور المعنىٰ.

ثم يصل أبو محجن بين أبيات قصيدته وينتقل إلىٰ الحديث عن الخمر ذاتها والكأس كذلك، وعن طريق (**الواو**) ، التي هي لمطلق الجمع ، يصل كلامه قائلًا:

وللكـــأسِ والصـــهباءِ حـــظٌّ مـــنعَّمٌ فمـــن حقّهـــا أن لا تُضـــاعَ حُقُوقُهـــا(٢)

---

(١) مراعاة النظير، وهي عبارة عن الجمع بين المتشابهات. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي تـ ٦٢٦هـ(٤٢٤) تحقيق: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) اللغة: صهب: الصهبة: لون مَعْرُوف وَهِي من ألوان الْإِبِل، بَيَاض يعلوه شَبيه بالصفرة، وَبِه سميت الْخمر صهباء. ينظر: جمهرة اللغة- لابن دريد الأزدي تـ٣٢١هـ(١/ ٣٥٢) تحقيق: رمزي منير بعلبكي-دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٨٧م.

أُقَوِّمُهـــا زِقـــًا بِحُـــقٍّ بِـــذاكُمُ يُســـاقُ الينـــا تُجُرُهـــا ونَســـوقُها(١)

فوصل للتوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان في الخبرية واختلفتا في الاسمية والفعلية، فالأولىٰ فعلية وهي (**يُعاجلني بعد العَشيّ غَبوقُها**)، والثانية اسمية وهي (**وللكأسِ والصهباءِ حظٌّ منعّمٌ**).

ويقدِّم أبو محجن المسند (**وللكأسِ والصهباءِ**(٢)) علىٰ المسند إليه (**حظٌّ منعّمٌ**)، وقد جاء هذا التقديم علىٰ نية التأخير ؛ وذلك للتنبيه من أول الأمر علىٰ أنه خبر لا نعت(٣)، فقد أقرّ للمسند المُقَدَّم الحكم بإسناده ثمَّ قدَّمه علىٰ هذا الحكم، فالنعت لا يتقدم علىٰ المنعوت فلو أخر الجار والمجرور (**وللكأسِ والصهباءِ**) كأن يقول: "وحظٌّ منعَّمٌ للكأسِ والصهباءِ" لتوهم أنّ (**حظٌّ منعّمٌ**) نعت للكأس، وفي قوله: "**الصهباء**"، كناية عن لون الخمرة وهو الأحمرُ إلىٰ البَياضِ، وهي كناية عن موصوف.

أمّا إسناد (**حظٌّ**) إلىٰ (**مُنَعَّمٌ**) فهذا الإسناد من قبيل المجاز العقلي الذي علاقته وصف الشيء بوصف صاحبه(٤)، وهي من العلاقات التي أشار إليها الزمخشري وضاق عنها تعريف الخطيب القزويني، فإنّ الْمُنَعَّم ليس الحظ وإنما صاحب

---

(١) ديوان أبي محجن الثقفي(٢٤)، وتاريخ الطبري(٣/ ٥٤٩)، وسير أعلام النبلاء(٢/ ٤٤٨).

(٢) من أسماء الْخَمْرُ: الْقَرْقَفَ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يُقَرْقِفُ أي: يُرْعِدُ، وَالْكُمَيْتُ: هِيَ الْحَمْرَاءُ، وَالصَّهْبَاءُ: مِنْ عِنَبٍ أَبْيَضَ، وَالْخَنْدَرِيسُ: الْقَدِيمَةُ، وَالْمُدَامَةُ: الْمُعَتَّقَةُ، وَالشَّمُولُ؛ لِأَنَّهَا لَهَا عَصْفَةٌ كَعَصْفَةِ الشِّمَالِ، وَالْعَانِيَةُ: خَمْرُ عَانَةٍ. ينظر: غريب الحديث، لأبي إسحاق الحربي تـ ٢٨٥هـ(٣/ ١٠٠٥) تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد- جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ه.

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٢/ ١٩٨).

(٤) ينظر: المطول(١٩٧).

الحظ، فوصفه بذلك ليكون صاحب الحظ أكثر نعمة وأشدَّ تنعُّمًا، فأشاع المجاز العقلي مع تأخير المسند إليه التأكيد والاهتمام والعناية التي أولاها أبو محجن للخمر والكأس.

أما عن (الفاء) التي ربط بها أبو محجن بين جملتيه، في قوله: **"فمن حقّها أن لا تُضاعَ حُقُوقُها"**، فأمرها غامض ويشير إلىٰ غموضه عبد القاهر الجرجاني قائِلًا:

"اعلم أن مما أغْمَض الطريق إلىٰ معرفة ما نحن بصدده، أن ههنا فروقا خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر، بل لا يدرون أنها هي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل"(١).

فالفروق الخفية في صناعة الجملة العربية سبب غموض تلك (الفاء)، وقد استعمل أبو محجن تلك (الفاء) عِوَضًا عن (إنَّ) التي أسقطت من الكلام، وذلك حتىٰ يفرغ الكلام إفراغا واحدًا، ويؤلف بينه حتىٰ يتحد في النظم، وفي هذا يسأل عبد القاهر الجرجاني سؤالًا ويجيب عنه، فيقول:

"هل شيء أبين في الفائدة وأدلَّ علىٰ أن ليس سواء دخولها - يقصد إنَّ - وأن لا تدخل، أنك ترىٰ الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به، حتىٰ كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا وكأن أحدهما قد سُبِكَ في الآخر؟.

هذه هي الصورة حتىٰ إذا جِئْتَ إلىٰ (إنَّ) فأسقطتها، رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول وتجافىٰ معناه عن معناه، ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل حتىٰ تجيء بـ (الفاء) "(٢).

ثم يشير إلىٰ الموضع الذي يحسن فيه إنابة (الفاء) عن (إنَّ) إذا أُسْقِطَتْ ويحسن موقعها، فيقول:

"اعلم أن الذي قلنا في (إنَّ) من أنها تدخل علىٰ الجملة من شأنها إذا هي أسقطت منها أن يحتاج فيها إلىٰ (الفاء) لا يطّرد في كل شيء وكل موضع، بل يكون

(١) دلائل الإعجاز (٣١٥).

(٢) السابق(٣١٦).

في موضع دون موضع، وفي حال دون حال،... إنما يكون في الجملة من حيث اقتضاء (الفاء) إذا كان مصدرها مصدر الكلام يُصحَّحُ به ما قبله، ويُحْتَجُّ له، ويُبَيَّنُ وجهُ الفائدةِ فيه"(١).

فاستعمل أبو محجن (الفاء) ليصحح ويحتجّ ويُبيِّن ما للخمر والكأس من حظٍّ وافر، وعطف بها لأنه من خصائصها عطف المفصل علىٰ المجمل ليتضح بها المعنىٰ، ويتبين المخاطب من مراد المتكلم، فعن طريقها يحتج أبو محجن علىٰ الحظ المنعم الذي اكتسبته الخمر وتبِعَها فيه الكأس، ثم شرع في بيان هذه الحقوق.

وأول حق من حقوقها بل هو جنس وأصل في الحقوق هو عدم تضييع حقوقها، فيقول: **"فمن حقّها أن لا تُضاعَ حُقُوقُها"**، يستهل بيان الحقوق بـ (من) وهي لابتداء الغاية والتبعيض وتأتي للجنس والبيان وبالنظر إلىٰ هذه المعاني التي تنبع من دلالة حرف الجر، فإذا كانت للابتداء فسيكون المعنىٰ أن أول حَقٍّ من حقوق الكأس والصهباء عدم تضييع حق من حقوقها، وإذا كان أول حقٍّ عدم تضييع الحق فكأنه ذكر كل الحقوق.

أمَّا إذا كانت للتبعيض فسيكون المعنىٰ أنّ عدم تضييع الحقوق حقٌّ من حقوق كثيرة للخمر ومجلسها، وتشْتَمل فيه كذلك معنىٰ الابتداء لأنه الأصل، أي أن الحقوق كثيرة وأول حق منها عدم تضييع ما للخمر من حقوق.

أمَّا إذا كانت للجنس فعدم تضييع حقوق الخمر هو الأصل ويُبنىٰ عليه بقية الحقوق، وعليه فإن استعمال (مِنْ) جاء لبيان ما للخمر من حقوق وماهية هذه الحقوق وحقيقتها، فأصاب باستعماله موضعه، ويشير ابن السكيت إلىٰ حقوق الخمر فيقول:

"حَقّهَا كَونهَا تسر الْقلب، وَتُذْهِب الْهمّ، وتُسَخي الْبَخِيل، وتشجِّع الجبان إِلَىٰ غير ذَلِك من فعلهَا وَهَذَا حقٌّ لَهَا، وَإِذا كَانَ هَذَا دأبها فَمن حَقّهَا أَن تعظم وَلَا تضيع حُقُوقهَا"(٢).

(١) دلائل الإعجاز (٣٢٣).

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب(٨/ ٤٠٤).

وللكـــأسِ والصـــهباءِ حـــظٌّ مـــنعَّمٌ فمـــن حقّهـــا أن لا تُضـــاعَ حُقُوقُهـــا

فقد جمع(١) بين الكأس والصهباء في حكم واحد وهو قوله: **"حظٌّ منعّمٌ"**، وهذه الأمور إذا وقعت في الكلام بلغ مبلغا عظيما في حسن التأليف وإعطاء الفصاحة حقها، وكلها استدلالات علىٰ تمكن أبي محجن من لغته، ثم ينتقل إلىٰ بيان حقٍّ من هذه الحقوق، فيفْصل الكلام للاتصال المعنوي الذي يسير في مفاصل التركيب ويقول:

أُقَوِّمُهـــا زِقًّـــا بِحِـــقٍّ بِـــذاكُمُ يُســـاقُ إِلَيْنَـــا تُجُرُهـــا ونَســـوقُها(٢)(٣)

يفصل بين قوله: **"فمن حقّها أن لا تُضاعَ حُقُوقُها"**، وقوله: **"أُقَوِّمُها زِقا(٤) بِحِقٍّ"**، وذلك لكمال الاتصال حيث وقعت الجملة الثانية بيانًا للجملة الأولىٰ، ثم يتباهىٰ في تقييمه للخمرة لأنها حينئذٍ عزيزة وهذا من تباهي الجاهلية، ثم يبيِّن المقدار الذي يكون عليه التقييم فيقول: **"زِقًّا بِحِقٍّ"**، فالزقُّ هو الوعاء المصنوع

---

(١) الجمع المفرد: وهو أن تجمع بين شيئين فصاعدا مختلفين في حكم واحد. ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيىٰ بن حمزة العلويّ تـ ٧٤٥هـ(٣/ ٧٨) المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

(٢) اللغة: الزِّقّ: وعَاء من جلد يجز شعره وَلَا ينتف للشراب وَغَيره. ينظر: المعجم الوسيط(١/ ٣٩٦) إبراهيم مصطفىٰ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار- دار الدعوة، (د، ت).

الحِقّ: الْحِقَّةُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ: مَا اسْتَحَقَّ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ، وَالْجَمْعُ الْحِقَاقُ. قَالَ الْأَعْشَىٰ:

وَهُـــمُ مَـــا هُـــمُ إِذَا عَـــزَّتِ الْخَمْـــ ـــــر وَقَامَـــتْ زِقَـــاقُهُمْ وَالْحِقَـــاقُ

يَقُولُ: يُبَاعُ زِقٌّ مِنْهَا بِحِقٍّ. ينظر: مقاييس اللغة(٢/ ١٦).

(٣) ديوان أبي محجن الثقفي(٢٤).

(٤) تَقْسِيم أَوْعِيَةِ المائِعَاتِ: السِّقَاءُ والقِرْبَةُ: لِلْمَاءِ، الزِّقُّ والزُّكْرَةُ: لِلْخَمْرِ والخَلِّ، الوَطْبُ والمِحْقَنُ: لِلَبَنِ، العُكَّةُ والنِّحْيُ: لِلسَّمْنِ، الحَمِيتُ والمِسْأَبُ: لِلزَّيْتِ، البَدِيعُ: لِلعَسَلِ. فقه اللغة وسر العربية(١٧٩).

من الجلد الذي يوضع فيه الخمر وهو أصغر من القِرْبَة، أمّا الحِقّ فهو ما استحق أن يُحمل عليه من الإبل، وإن هذا لثمنٌ غالٍ ومبالغ في تقييمه.

وفصل بين جملة (**أُقَوِّمُها**) وجملة (**زِقًّا بحِقٍّ**) والتقدير: فأبتاعُ زِقًّا بِحِقٍّ، وذلك لكمال الاتصال بين الجملتين حيث وقعت الجملة الثانية مُبيِّنَةً للجملة الأولىٰ، ثم استعمل حرف الجر في غير معناه الأصلي وهو الإلزاق والالصاق وخرج به إلىٰ معنىٰ المقابلة والعِوَض[1] حتىٰ يتسنىٰ له ذكر الثمن وهو الحِقّ، ثم يستعمل (**الباء**) ثانية بمعنىٰ السببية والتعليل في قوله: "**بِذاكُمُ**" والمعنىٰ: أنه بسبب مقابلة الزق بالحِق يساق إليه تجار الخمرة لمغالاته في تقييمها بأكثر من ثمنها، فيكون ذلك داعيًا للمجيء إليه ليبيعوه إياها، وما في قوله: "**بذاكم**" وكأنه يشير بإحدىٰ يديه إلىٰ ناقة شاخصة أمامه، وقد أخذت الخمرة من عقله مآخذها، مترنحًا يخطو نحوها أو ملوِّحًا في رعشة بإصبعه إليها، بأن هذا السعر الغالي هو الذي يجعل تجارها يأتون إلينا مسرعين.

وجملة (**يُساقُ إلينا تُجُرُها ونَسوقُها**) بيان للسبب الذي جاءت (**الباء**) لأجله، فهذا التقييم الغالي هو الذي يسوق التجار، فبنىٰ الفعل المضارع للمفعول حتىٰ لا يذكر الفاعل فيكون أدعىٰ إلىٰ تفخيمه، ثم قدَّم الجار والمجرور بغرض التخصيص، ثم رفع نائب الفاعل (**تُجُرُها**) وقد فُصِلَ بينه وبين الفعل بفاصل، وفي

---

(١) من معاني (الباء): الْمُقَابلَة: وَهِي الدَّاخِلَة علىٰ الأعواض نَحْو اشْتَرَيْته بِأَلف، وكافأت إحسانه بِضعْف. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام تـــ ٧٦١هـ(١٤١) تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله- دار الفكر، دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

تلك الحال يكون الرفع جائزًا(١)، والعلة من الرفع أن له دورًا في فعل الفعل ووجوده، ثم يصل بين جملة (يُساقُ إلينا تُجُرُها ونَسوقُها) وجملة (ونَسوقُها)، وذلك للذي أشار إليه الجرجاني قائلًا:

"اعلمْ أنَّه إذا كان المخَبرُ عنه في الجملتين واحداً كقولنا: "هو يقولُ ويفعلُ، ويَضُرُّ ويَنْفَعَ، ويُسيءُ ويُحْسِنُ، ويأمُرُ ويَنْهىٰ، ويَحُلُّ ويْعقِد، ويأخُذُ ويُعْطي، ويَبيعُ ويَشْتَري، ويأكُلُ ويشرَبُ وأشباه ذلك، ازدادَ معنىٰ الجمعِ في (الواو) قوة وظهوراً، وكان الأمْرُ حينئذٍ صريحاً"(٢).

والجملة كناية عن صفة الفخر والتباهي الذي أراد أبو محجن إيصالهما للمخاطبين.

ويُذكر أنه لما مات أبو محجن الثقفي وقف رجل علىٰ قبره، فقال:

"رحمك الله أبا محجن، فوالله لقد كنت قليل المراء، جيد الغناء، غير نعّاس، ولا عبّاس، ولا حابس للكاس.

وزعم الهيثم بن عدِيّ أنّه قد أخبره من رأىٰ قبر أبي مِحْجَن، وقد نبتتْ عليه كَرْمَةٌ وظلَّلَتْ وأثمرت، فعجِب الرجل وتذكّر شعره"(٣).

ويقول في موضعٍ آخر معلنًا حبه للخمر: (الطويل)

أَلَا سَـقِّنِي يَـا صَـاحِ خَمْـرًا فَـإِنَّنِي بِمَـا أَنْـزَلَ الـرَّحْمَنُ فِـي الخَمْـرِ عَـالِمُ

(١) يقول الزمخشري في إسناد الفعل المبني للمفعول إلىٰ الجار والمجرور وتأخير المفعول به: "إن أسندت – الفعل – إلىٰ الجار مع المجرور، ولك أن تسند إلىٰ يوم الجمعة أو إلىٰ غيره وتترك ما عداه منصوباً". المفصل في صنعة الإعراب (ص: ٣٤٤).

(٢) دلائل الإعجاز(٢٢٦).

(٣) تاريخ الإسلام، ٣/ ٣٠٢.

وَجِـدْ لِـي بِهَـا صِـرْفًا لِأَزْدَادَ مَأْثَمًـا فَفِـي شُـرْبِهَا صِـرْفًا تَـتِمُّ الْمَـآثِمُ

هِـيَ النَّـارُ إِلَّا أَنَّنِـي نِلْـتُ لَـذَّةً وَقَضَـيْتُ أَوْطَـارِي وَإِنْ لَامَ لَائِـمُ(١)

عند تقديم أبي هلال العسكري لهذه الأبيات ذكر أنَّ أبا محجن الثقفي كان قد التحق بسعد بن أبي وقاص ﷺ، وكان سعد لا يزال يراه شاربًا للخمر، فقال له: لتنتَهِيَنَّ أو لأوجِعنَّك ضربًا، فقال له: لستُ تارِكَها لقولِك أبدًا، فبلغ سعدًا ﷺ أنه قال هذه الأبيات، فأمر به فحُبس(٢)، وحُقَّ لسعدٍ بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يحبسه في ذلك.

وافتتح مقطوعته منبِّهًا يقول:

أَلَا سَـقِّنِي يَـا صَـاحِ خَمْـرًا فَـإِنَّنِي بِمَـا أَنْـزَلَ الـرَّحْمَنُ فِـي الخَمْـرِ عَـالِمُ(٣)

يختار أبو محجن لمقطوعته الشعرية هذه نغمات البحر الطويل كسابقتها، وعند أوَّل مطالعة لهذه المقطوعة الشعرية، ترىٰ أنها ما هي إلا دندنةُ سكرانٍ ينتشي، وكأنه في غفوته يعاتبه الضمير، فيحاول جاهدًا أن يستفيق من هذه الغفوة هاربًا من اللوم والعتاب، فيغلبه السُّكْر ليغفو ثانيةً علىٰ حالته ويسكنه الاستسلام، فيستزيدَ كأسًا بعد كَاسٍ لعلَّه ينسىٰ، ولكن هيهات هيهات فسياط الضمير لن تكف الطَّرْقَ علىٰ أبواب الوجدان، والنغمة التي ستسير عليها هذه الطَّرَقات الوجدانية الشعرية، فعولن مفاعيلن نغمة البحر الطويل.

---

(١) ديوان أبي محجن الثقفي(١٧).

(٢) السابق.

(٣) ديوان صفي الدين الحلي(٦٢١).اللغة: سَقِّنِي: تقول الْعَرَب: سقيتُه وأسقيتُه، فَقَالَ قوم: الْمَعْنىٰ وَاحِد، وَقَالَ آخَرُونَ: بل سقيته من سَقْي الشّفة، وأسقيته: دللته علىٰ المَاء. جمهرة اللغة(٢/ ٨٥٤).

والصورة الكلية لهذه المقطوعة الشعرية، إنّما هي سَكْرَةُ نشْوانٍ فيها يترنح ويدندن علىٰ الذي قد كان، ويستهلها بقوله: "أَلَا سَقِّنِي"، والاستفتاح بـ (ألَا) يضع صاحبه في المواجهة مع الفحول والعمالقة من الشعراء الذين سبقوا واستفتحوا بها، وقد أشار ابن رشيق القيرواني إلىٰ عدم الاستكثار من هذه الابتداءات(١)، لكنَّه أبو محجن الثقفي أهلٌ لأن يُقَارَعَ به المجوِّدون من الشعراء، فَبِكَلامِه يحْتجُّ، وغرضه من الاستفتاح بـ (ألَا) هو التنبيه وليس غير التنبيه لوجود النداء بعدها(٢).

(أَلَا سَقِّنِي) أمّا الفعل (سقِّني) فله صورة في الذهن غير صورة الفعل (اسْقِني)، فلا يقال: سَقَيْتُهُ إلا إذا كان السَّقْيُ حتىٰ الشَفَتَين(٣)، وعلىٰ هذا المعنىٰ فإنَ أبا محجن لا يطلب تنبيه المخاطب، بل يُنبِّه الندمان أنه يحتاج المزيد، وكأنه غارق في سُكْرِه لا يستطيع أن يرفع كأسه ليشرب بنفسه؛ فينبِّه الساقي حتي يضع له الشراب في فِيهِ، فأيّ أَبَّهة تلك التي هو فيها.

وبناء الفعل علىٰ صيغة (فَعَّلَ) بتشديد العين ليبالغ في فعل الفعل، وقد جاءت المبالغة لتكرير وقوع الوصف، فهذه الصيغة (سَقِّني) أعطت صورةً لنادلٍ يعاود السُّقيا مرة بعد مرة في فمّ أبي محجن، فإذا ما غفىٰ وسهىٰ نبّهَهُ أبو محجن ليسرع (أَلَا سَقِّنِي).

---

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه(١/ ٢١٨).

(٢) أَلَا: حَرْفُ اسْتِفْتَاحٍ، وَاسْتِفْهَامٍ، وَتَنْبِيهٍ، وتوبيخ، وعرْض، وخُصَّ التَّنْبيهُ بـ (يا). ينظر: لسان العرب(١٥/ ٤٣٤).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- لأبي نصر الفاربي تـ٣٩٣هـ(٦/ ٢٣٧٩) تحقيق: أحمد عبدالغفور-دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة الرابعة - ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

وهذا ما ليس في معنىٰ (اسْقِني) ففيها أنه يكفيه أن يدُلَّه علىٰ موضع إناء الخمر، والاكتفاء بالإشارة إلىٰ موضع الإناء من شأنه أنه يدنِّي من رتبة الطالب، ولذا كان استعمال (سَقِّني) أبلغ، وبه كسىٰ أبو محجن نفسَه سربال الأُبَّهة والسِّيادة.

ثم فصل بين الفعل (أَلَا سَقِّنِي) والمفعول به (خَمْرًا) والفاصل جملة النداء (يَا صَاحِ)، وهذه الجملة الندائية إطناب لا محلَّ لها من الإعراب، وهي اعتراض[1] وهذا المحسِّن البديعي قد أكد علىٰ التنبيه الناشئ من استعمال (أَلَا) فالنداء كذلك للتنبيه؛ لذلك فصل بين الجملتين لوقوع الجملة الثانية تأكيدًا للجملة الأولىٰ، أمّا الحذف الكائن في قوله: "يا صَاحِ" فقد حذف بعض كلمة والتقدير: يا صاحبي علىٰ الترخيم[2] إلا أنَّ هناك سرًّا في هذا الموضع، وهو أنه لعِظَمِ ما هو عليه من السُّكْرِ ضعُفَت قُوَاه وقلّ كلامه، فكان الموضعُ موضعَ اختصار لعدم قدرته علىٰ إتمامه، أو أنه يريد بهذا الحذف العجلة والإسراع لشدة ظمئه، ثم يُكْمِلُ[3] كلامَه بذكر المفعول به وهو قوله: "خَمْرًا"، حتىٰ يدفع التوهم الذي من الممكن أن يقع

(١) الاعتراض: هو أن يؤتىٰ في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين، معنىٰ بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة غير دفع الإيهام. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٣/ ٢١٤).

(٢) كانت العربُ تستعملُ الترخيمَ في كلامها، ويكنىٰ ببعض حروف الاسم والفعل عن جميعها، فيقولون: يا حارِ يريدون يا حارث، وياصاحِ يريدون يا صاحب. ينظر: الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني المالكي تـ ٤٠٣هـ (٢/ ٧٨٥) تحقيق: محمد عصام القضاة، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٣) التكميل ويسمىٰ الاحتراس: وهو أن يؤتىٰ في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو ضربان: ضرب يأتي في وسط الكلام، وضرب يأتي في آخره. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٣/ ٢٠٨).

في عقل المخاطب بأن المشروب شيءٌ آخر غير الخمر، فالتكميل بذكرها صراحةً قد دفع هذا التوهُّم المحتمل.

وينتقل عن طريق (الفاء) في قوله: "فَإِنَّنِي بِمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ عَالِمُ"، التي من شأنها أنها تنشر ألوانًا من الترتيب بين الألفاظ والمعاني علىٰ غير ما عُهِد فيها، وأنها تقلب أوضاع الكلم لتعكس انقلاب الأوضاع في الواقع، كما أنها تشير إلىٰ اختلال الفكر والسلوك(١)، وهذا هو حال شارب الخمر مُغيَّبٌ عقلُه، وغائب الوعي حتمًا فكره مُختلٌّ وأحواله معكوسة، كما أن هذه (الفاء) تدل علىٰ التعليل الذي يُوضح السبب من ضم هذه الجملة إلىٰ سابقتها، فيقول:

أَلَا سَقِّنِي يَا صَاحِ خَمْرًا فَإِنَّنِي بِمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ عَالِمُ

(فَإِنَّنِي بِمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ عَالِمُ)، وبعدما عطف عن طريق (الفاء) أكَّد كلامه بـ (إنَّ) مع إضافتها إلىٰ (ياء المتكلم) ليخصص نفسه بهذا التأكيد، وكأن حاله حال من يعاتب نفسه، فهو العالم بجُملة ما أنزل الله جل وعلا في كتابه الكريم من تحريمٍ للخمر، فيخاطب نفسه مخاطبةَ المنكر ليخرج الكلام عن مقتضىٰ الظاهر إلىٰ معنىٰ الندم، فكثرة المؤكدات (إنّ، نون الوقاية، تعريف المسند إليه بالضمير (ياء المتكلم)، اسمية الجملة)؛ فكل هذه المؤكدات التي يؤكد بها لنفسه هو علمه بالتحريم، كأنه منكر لحاله التي هو عليها ومتعجب يسائل نفسه ويحاورها، كيف أكون عالِمًا بكل ما أنزل الله ﷻ من آياتٍ لتحريم الخمر مُجْمَلِها ومفصَّلِها وأكون علىٰ ما أنا عليه، فيتحسر وتراه يعض أنامله من الندم ثم تأخذه

(١) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم(١٠).

نشوة السكر وفيها يغرق، ويغلبه الشوق إلىٰ المزيد فيطلب الاستزادة، فصدىٰ الفعل (سَقِّنِي) لايزال يرنُّ في الأسماع وكأن النادل يعاود السُّقيا.

ثم يُعرف المسند إليه بالموصولية حتىٰ تكون الفائدة أتم وذلك عن طريق (مَا) بغرض التعريض بتعظيمه(١)؛ ولأن (مَا) لا تخلو من الإبهام أبداً كان في آخرها ألف مدّ؛ لما في الألف من الاتساع في هواء الفم ليشاكل اتساع معناها في الأجناس.

وكذلك فإنه لا يُعقل معنىٰ (مَا) إلا بجملة الصلة، وأيضًا لا تقع إلا علىٰ جنس تتنوع منه أنواع(٢)، وكل هذه المعاني التي تنبع من استعمال (مَا) ودلالتها تنطبق علىٰ تحريم الخمر وتنوعها، فقد تدرجت الأحكام في تحريم الخمر وتنوعت حتىٰ جاء الحكم القطعي بالتحريم، فأصاب أبو محجن بـ (مَا) موضعها، وكأنَّ المراد من استعمالها أن أبا محجن عالمٌ بجميع الآيات التي نزلت في التحريم، فيعاتب نفسه وأنه كيف وصلت به حاله إلىٰ تلك التي هو عليها؟.

أمّا جملة الصلة فقد بناها فعلية فعلها ماض واختار الفعل (أَنْزَل(٣)) دون (نزَّل) ولهذا غرض ودلالة فـ (أَنْزَلَ) يدل علىٰ مجمل الشيء واكتمال أبعاضه،

---

(١) من دواعي تعريف المسند إليه بالموصولية: أنه ربما جُعل ذريعة إلىٰ التعريض بالتعظيم لشأن الخبر. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٢/ ١٦).

(٢) ينظر: نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي تـ ٥٨١هـ(١٣٩) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م.

(٣) الفرق بين الإنزال والتنزيل: الإنزال: دفعي، والتنزيل: للتدريج. ينظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري تـ ٣٩٥هـ(٧٩) تحقيق: الشيخ بيت الله بيات- مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

والأحكام الإلهية في تحريم الخمر عندئذ كانت قد اكتملت وأُجملتْ وأبو محجن يعلم جميع مواضعها، أمّا (نزَّل) ففيها معنىٰ التدرج أي شيئًا فشيئًا، وهذا سيشير إلىٰ أنَّه يعلم بعض الآيات ولا يزال يتعلم البعض الباقي تدريجيًا، فكان استعمال (أنْزَل) هو الاستعمال اللائق ودلّلتْ علىٰ مراد أبي محجن الثقفي أتم دلالة.

ثم يأتِي بالمسند إليه ظاهرًا غير مقدر وهو قوله: **"الرَّحْمَنُ"**، وهو أبلغ من (الرَّحِيم) لكثرة حروفه، وهو اسم مختص بالله تعالىٰ وإطلاقه علىٰ غيره تعالىٰ كفر(١).

وهذا الاسم له خصوصية عند تصوره، وكذلك عند التأمل في معناه أو مرماه أو دلالاته في المواضع المختلفة، أو المتباينة، أو المتشاكلة، فعند كل مُعاوَدَةِ تَأَمُّل يتيقَّن العقل أنه لم يدرك اسم (الرَّحْمَنُ) حق الإدراك ولن يستطيع ذلك، وعلّة ذلك: أنّ رحمة الله ﷻ التي وضعها في هذا الوجود من يوم أنشأه إلىٰ أن يرثه جزءٌ واحدٌ من مائة جزء، ولم تحط العقول عِلْمًا بهذا الجزء الواحد!، فكيف بالأجزاء التسعة والتسعين الباقية؟، وكيف بالرحمن ذاته؟.

فذِكْرُ هذا الاسم خاصة يُشعِرُ النَّفْسَ بالأمل المطلق في الله ﷻ، وهو أجَلُّ اسم بعد الاسم العلم علىٰ الذات الإلهية وهو ﴿الله﴾، فقد حالف التوفيقُ أبا محجن في اختياره ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مسندًا إليه وبه أفصح عن مكنونه؛ لأنه في موقف الذنب والمعصية ولا يغفر الذنوب ويسترها إلا ﴿الرَّحْمَنُ﴾، فهذا الاسم هو ما يتعلق بأستاره الكلُّ وليس أبو محجن وحده.

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية، (٢٥١).

أمّا حرف الجر(في) في قوله: "فَإِنَّنِي بِمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ عَالِمُ" فلاستعماله غرض ومعنىٰ مراد قد أشار إليه سيبويه قائلًا:

"أما (في) فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغل؛ لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له، وكذلك: هو في القبة، وفي الدار، وإن اتسعت في الكلام فهي علىٰ هذا، وإنما تكون كالْمَثَل يُجَاء به يقارب الشيء وليس مثله"(١).

فاستعار متعلق(٢) حرف الجر (في) وهو الظرفية علىٰ سبيل الاستعارة التبعية(٣)، ثمّ أبقىٰ ما يدل علىٰ الظرفية، وهو حرف الجرّ (في) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، وكأن الخمرة صارت ظرفا حوىٰ الآيات التي نزلت فيها بالتحريم، ألا ترىٰ أنها في أصل ذاتها نجسة، وذلك علىٰ طريقة الاستعارة التخيلية(٤).

(١) الكتاب لسيبويه(٤/ ٢٢٦).

(٢) قال صاحب المفتاح: "وأعني بالمتعلقات معاني الحروف، أي: ما يُعبَّر عنها عند تفسيرها، مثل قولنا: من معناها: ابتداء الغاية، إلىٰ معناها: انتهاء الغاية". مفتاح العلوم (٣٨٠).

(٣) إن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس، فالاستعارة تبعية كالفعل وما يشتق منه كاسم الفاعل، والمفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسم الزمان، والمكان، والآلة، والحرف". مفتاح العلوم (٥٩٨).

(٤) قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوىٰ لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا أجري عليه اسم ذلك الأمر، فيسمىٰ التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي تـ١٣٩١هـ(٣/ ٥٢٠) مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وعلىٰ المعنىٰ الذي أبرزه سيبويه لحرف الجر يكون هناك استعارة في حرف الجر في قوله: **"في الخمر"**، فقد جعل الخمرة وكأنها ظرف احتوىٰ آيات التحريم التي نزلت فيها علىٰ تنوعها؛ لأن لفظ (فِي) موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين، كما تقول: الماء في الكوز، فإن الماء مظروف في الكوز، والكوز ظرف له، فكلمة (فِي) في البيت مستعملة في غير ما وضعت له؛ لأن ما بعدها لا يصلح أن يكون ظرفًا لما قبلها علىٰ الحقيقة، لكن لما كانت (**الخمرة**) تستحق التحريم ولأنها أصل لكل خبيث ومحرم؛ شبهت الخمرة بالظرف الحقيقي في التمكن، فاستعير لها لفظ (فِي) تجوزًا في التعبير.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شُبِّهت الخمرة بالظروف الحقيقية بجامع التمكُّن في كل، فسرىٰ هذا التشبيه إلىٰ تشبيه تلبس آيات التحريم التي أنزلها الله ﷻ باستحقاق الخمر لها، كتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين، بجامع مطلق تلبس شيء بشيء، ثم استعيرت (فِي) الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين، لتلبس استحقاق الخمرة للآيات التي أنزلت في تحريمها علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية، والتشبيه في البيت جرىٰ أولًا في مدخول الحرف وهو (**الخمر**) في جانب المشبه، والظروف الحقيقية في جانب المشبه به، ثم جرىٰ ثانيًا في معنىٰ الحرف وهو تلبس الظرف بالمظروف.

ثم اختار الاسم الجامع لكل أنواع المسكرات في قوله: **"الخمر"** وأمّا مَا سِوَاهُ فصِفَاتٌ له؛ ليشمل كل المسميات والأنواع التي تندرج تحت هذا الاسم الجامع، وتختلف المسميات باختلاف الصفات فيها، فهناك خمر **الشَّمُول** ذات الرائحة التي تغمر القَوْمَ في مجلسهم وتشملهم، وكذلك **الرحيق** التي لا غش فيها، وأمّا القديمة

فتُسمىٰ **الخَنْدَرِيسُ**، فإذا عُتِّقتْ حتىٰ سكنت حركتها صارت **المُدَامَة**، وإذا أذْهبت بشهوة الطعام واكتُفِيَ بها فحينئذٍ تكون **قَهْوَةً**، وإذا عُصِرَت بغير يدٍ أو رجل فهي **السُّلاَفُ**، وتكون **طِّلاَءً** إذا طُبختْ وتَبَخَّر الثلثان، أمّا إذا لم تخلط فهي **الصِّرف**.

وعندما يكون في سَوْرَتِها شدّة فهي **الحُمَيَّا**، فإذا تعاطاها زمانًا أضحت **عُقَارًا**، وإذا جعلتْ شاربها يرتعش ويرتعد عندئذٍ تكون **قَرْقَفًا**، أمّا إذا جَعَلَتْ شاربها يُقَطِّبُ حاجبيه عند شربها فهي **الخرطوم** وكأنها أخذت بخرطومه، فإذا تنهّد وارتاح لها وكأنه يسْتَطِيبُ ما يتذوقه، أو كأن روحه تعود إليه ثانية عند شربها فهي **الرَّاحُ**.

وكذلك تختلف أجناسها باختلاف ثمرتها، **فالصَّهْبَاءُ** مِنَ العِنَبِ، **والسَّكَرُ** مِنَ التَّمْرِ، أمّا **النَّبِيذ** فهو من الزَّبِيبِ.

و- **أيضًا** - تختلف مراتب السُّكْرِ ففي بداية الشراب يصير الرجل **نشوانًا** ، فإذا أحسّ بدبيب الشراب فها هو قد أصبح **ثَمِلًا**، أمّا إذا بَلَغ الحَدَّ الذي يُوجِبُ الحَدَّ فعندئذٍ يكون **سَكْرَانًا**، فإن زاد عليه وامتلأ ففي هذه الحال يكون **سَكَرَانًا طَافِحًا**، فإن وصل إلىٰ المرحلة التي لا يتماسك فيها ولا يتمالك فقد بات **مُلْتَخًّا**، فإذا صار يهْزي ولا يعقل من أمره شيئًا ولا ينطلق لسانه فهو **سَكْرَانٌ باتٌّ**[1]، فشمل هذا الاسم الجامع كل هذه المسميات والأجناس والتأثيرات التي تطرأ علىٰ شارب الخمر، وقد أجاد في اختياره أبو محجن.

أمّا جملة (**بِمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ**) في مجملها مقدَّمة علىٰ المسند قوله: "**عَالِمُ**" خبر (إنّ) في قوله: "**فَإِنَّنِي**"، وذلك للتأكيد وليبيِّن للمخاطب بالألفاظ ما

(١) ينظر: فقه اللغة وسر العربية(١٨٧).

يجيش في صدره من معان علىٰ حسب تتابعها في نفسه، وكأن عِلْمَه بالذي أنزل الله من آياتٍ في الخمر يؤلمه ويعذبه فهو لا يزال يشرب، وعلمه بالتحريم دومًا نُصُب عينيه فقدمه لمكانته في نفسه.

وفوق هذا التقديم فالجملة في ذاتها تتميم(١)، فالمعنىٰ لا يوهم خلاف المقصود ولكن أبا محجن أتىٰ بها للمبالغة وللتأكيد علىٰ معرفته بالحكم، ثم أخّر الخبر (عَالِمُ) ليكون آخر ما يعلق في ذهن المستمع ولكي يبني علىٰ العلم بالتحريم باقي مقطوعته، وعن طريق الوصل بـ (الواو) ينتقل إلىٰ البيت الثاني قائلًا:

وَجِدْ لِي بِهَا صِرْفًا لِأَزْدَادَ مَأْثَمًا فَفِي شُرْبِهَا صِرْفًا تَتِمُّ الْمَآثِمُ

يصل بين الجملتين جملة الصلة (أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي الخَمْرِ عَالِمُ)، وجملة (وَجِدْ لِي بِهَا صَرْفًا) لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً وذلك للتوسط بين الكمالين، فالأولىٰ خبرية والثانية إنشائية فعل أمر (جِدْ).

(جِدْ) هذا الفعل له شأنٌ يخصه دون باقي الأفعال في اللغة العربية كلها، وهذا علىٰ الحقيقة وليس مبالغة وإليك الدليل، يقول ابن خالويه:

"ليس في كلام العرب: فعَل يفعُل، مما فاؤه واو، إلا حرفًا واحدًا ذكره سيبويه، وهو وَجَدَ يَجُد قال جرير:

لَوْ شِئْتِ قَدْ نَقَعَ الْفُؤَادُ بِشَرْبَةٍ تَدَعُ الصَّوَادِيَ لَا يَجُدْنَ غَلِيلًا(٢)"

---

(١) ينظر: المطول(٤٩٩).

(٢) ليس في كلام العرب، لأبي عبد الله بن خالويه تـ ٣٧٠هـ(٣٩) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الفعل (جِدْ)، إن تفرُّد هذا الفعل يدل علىٰ تفرُّد المطلوب به وتميُّزه، والشذوذ الكائن في الفعل[١] يدل علىٰ شذوذ الحالة التي عليها أبو محجن، فهو صحابي من صحابة رسول الله ﷺ، ومن الفرسان المشهود لهم ومن رواة الحديث، فكيف يجتمعان؟، عشق الخمر وهذه الشيم والخصال، فذلكم الصحب والأحباب وهذا صنيعه، أبدًا لا يجتمعان، فناسب الفعلُ مقتضاه، وكأن أبا محجن يقول في نفسه أنا حالة يسكنها التناقض ولا نظير لي أو مشابه.

أما عن المعاني التي تنبع من ذات الفعل فيطول عرضها ولكن ذكرها الجَوْهري في صحاحه[٢]، وإذا ما صُنِعَ من هذه المعاني التي يحتملها هذا الفعل صورة مجسمة، سترىٰ فيها أن أبا محجن يلوِّحُ بأن الخمرة تُقَويه عند ضعفه وهي ضالته التي يبحث عنها، وكلها دلالات علىٰ العلاقة القائمة بينهما، كما أنّ في معناه البحث والتنقيب عن الشيء، وكأن النادل الذي يسقي أبا محجن سيقوم بالبحث عن نوع معين من الخمر يريده أبو محجن، وكذلك من معانىٰ الفعل (جِدْ) الحزن علىٰ حبِّه لها، وهذا يقوّي معنىٰ الندم والتحسر علىٰ معاقرتها.

وعليه فقد خرج فعل الأمر هذا عن معناه الأصلي إلىٰ معنىٰ التعجيل بإحضارها، ثم يزيد من متعلقات الفعل بالجار والمجرور (لي)؛ ليظهر للمخاطب أن الخمرة المنوط بها الاهتمام تخصُّ أبا محجن وتحتاج إلىٰ التنقيب والبحث عنها، وكأنه

---

(١) يقول ابن قتيبة: "وَجَدَ، يَجدُ، من الموجدة والوِجْدان جميعًا، وهو حرف شاذ لا نظير له". ينظر: أدب الكاتب- لابن قتيبة الدينوري تـ ٢٧٦هـ(٤٨٠) تحقيق: محمد الدالي- مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٢ه/ ١٩٨٢م.

(٢) (وَجَدَ) وَجَدَ مطلوبَه يَجِدُهُ وُجوداً، ويجُدُه أيضا بالضم، ووَجَدَ ضالَّته وِجْدانًا، وَوَجَدَ عليه في الغضب مَوْجِدَةً، ووِجْدانًا أيضًا، ووَجَدَ في الحزن وَجْداً بالفتح، ووَجَدَ في المال وُجْداً ووِجْداً وجِدَةً أي: استغنىٰ، وأوْجَدَه الله مطلوبهُ أي: أظفره به، وأوْجَدَهُ أي: أغناه، يقال: الحمد لله الذىٰ أوجدني بعد فقر، وآجدني بعد ضعفٍ، أي قوَّاني. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٢/ ٥٤٧).

يريد نوعًا مخصوصًا ليشربه حتىٰ تصنع تأثيرًا يحتاج إليه، وغير هذا النوع المخصوص لن يكون هذا التأثير، وقد تقدّم الجار والمجرور (لي) علىٰ نظيره (بها) وتقدير الكلام: وجِدْ بها صِرفًا لي، والتقديم أبان عن الاهتمام وشوق أبي محجن إليها، وكذلك فالجار والمجرور احتراسٌ من أبي محجن حتىٰ لا يتوهم أنه يشاركه فيها أحد، فدفع هذا التوهم بهذا التكميل(١) حتىٰ لا يلتبس الأمر.

أمّا الجار والمجرور في قوله: "بها" فاستعمال (الباء) التي تدل علىٰ الإلزاق والالتصاق يشير إلىٰ أنه لا ترجع بغير ما طلبتُ منك، وكأن هناك مشقة في البحث عن النوع الذي يريده أبو محجن وندرته، أو أنّ هناك أنواعًا متعددة ولكل نوع تأثير مغاير عن الآخر، فيحدد النوع الذي يعتدل به مِزَاجُه عند شربه وذلك في قوله: "صِرْفًا" فهو يريدها غير ممزوجة؛ ليكون التأثير أشدّ؛ لعله يهرب من سياط التأنيب بدقات الضمير علىٰ جدران القلب، ولكنه يكابر بعدما كسته الخمرة بالجرأة، ولكنه يعلم في قرار نفسه حتىٰ وهو في أشد مراحل سكره أنها أمُّ الخبائث وهذا مؤشر خير، واستُنبط ذلك من التعليل الذي علّل به لشربها (صِرْفًا) فيقول:

وَجِـدْ لِـي بِهَـا صِـرْفًا لِأَزْدَادَ مَأْثَمًـا ... فَفِـي شُـرْبِهَا صِـرْفًا تَـتِمُّ الْمَـآثِمُ(٢)

فيُعلِّل بقوله: "لِأَزْدَادَ مَأْثَمًا"، وعن طريق (اللام) التي تفيد التعليل يفصح أبو محجن عن السبب لشربها صرف، وكأنه يتحسر علىٰ وقوعه في هذه المعصية ولكن تغلبه نفسه فيعيش العصيان كاملًا غير منقوص، ففي نهاية الأمر يعلم أنه سوف يُطَّهر بالحدّ، ثم يغلبه السكر فيغفو فيعاوده الضمير بالملامة والعتاب.

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٣/ ٢٠٨).

(٢) يقال: شرابٌ صِرفٌ، أي بحت غير ممزوجٍ. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٤/ ١٣٨٥).

وإذا أقمت في خاطرك صورة لسكران جالسًا كان هو أو واقفا، يسوقه ثِقَلُ رأسه يمينًا تارة وأخرىٰ شمالًا مغيّبًا وعلىٰ الحالين تراه ينساق، وأخرىٰ كأنّ هناك مِنْ خلفه مَنْ يشدُّه، فيتراجع القهقري وكأنه سيسقط علىٰ ظهره مترنحًا لا يستقيم علىٰ حال، وكثيرًا ما يهذي، وهكذا طيلة سُكره يُعلِّي من صوته حينًا ويُزعج مجالسيه، وأخرىٰ في همس يحدث نفسه كأنه يلومها، فجملة (**لِأَزْدَادَ مَأْثَمًا**) تلك.. هي التي يختلي بها مع نفسه، مغمضة عيناه بالتنهيد يتحسر، ولكنها حسرة سكران طافح فيها ينعي ليلاه.

أما بناء المفعول به علىٰ صيغة (مَفْعَل) التي يُبنىٰ عليها المصدر الميمي في قوله: "**مأثمًا**"، فمع العلم بأن هذا المصدر يؤدي ما يؤديه المصدر الأصلي من الدلالة علىٰ المعنىٰ المجرد، لكنه يفوقه في قوة الدلالة وتأكيدها، وكأن أبا محجن في قرارة نفسه يشعر بثقل الذنب، ولكن عشقه للخمر غلبه علىٰ أمره وهذا العشق قد أضعف همته في التخلي عنها حين كان يشربها.

ثم يربط شطري البيت ببعض عن طريق (**الفاء**)، وهذه (**الفاء**) خاصة لا تأتي إلا في الجملة التي مصدرها مصدر الكلام يُصحَّحُ به ما قبله، ويُحْتَجُّ له، ويُبَيَّنُ وجهُ الفائدةِ فيه(١)، ويكسو موقعها في الكلام الغموض.

وكأن أبا محجن استفاق قليلًا من غفوته حين قوله: "**لِأَزْدَادَ مَأْثَمًا**" فأراد أن يصحِّح من وضعه وهيئته بين الحاضرين فاستعان بهذه (**الفاء**) لتدلِّل علىٰ ذلك، وكأنه حين كان يرتب نفسه يعاود عليها العتاب، ويريها كيف انعكست الأوضاع

(١) ينظر: دلائل الإعجاز(٣٢٣).

وغاب العقل؟[١]، وعليه فالمعاني التي تنبع من هذه (الفاء) لا تكاد تنقطع، فبها عوّض أبو محجن عن (إنَّ) التي أُسقطت من الكلام، وكذلك عن طريقها أفرغ الكلام إفراغا واحدًا حتىٰ اتلف واتحد نظمه[٢].

وعند تأمل هذه المشاهد الشعرية التي يعرضها أبو محجن علىٰ مجالسيه، سترىٰ أن هذا الهذيان الشعري لسانه ينطق بالحقيقة، وكأن هذا هو المطبوع علىٰ جدران القلب، وعند غفوة السُكْر تستحضره همسات العتاب والملامة فقد وقع يقينًا في الذنب والعصيان.

ولكي تكتمل الصورة الكلية شيئًا فشيئًا، يتابع أبو محجن في نقش تفاصيلها وبنائها لِبنة بعد لِبنَة، فتراه يضع الرقيب حتىٰ لا تنحرف الصورة في الذهن، وقوله: **"مَأْثَمًا"** أحد هؤلاء المراقبين، فهي إرصاد[٣] عن طريقه يستطيع المخاطب أن يستنبط عجز البيت إذا كان يعرف رويّ القصيدة، ويأتي أبو محجن بالعجز علىٰ وفق المتوقع فيقول:

وَجِـدْ لِـي بِهَـا صِـرْفًا لِأَزْدَادَ مَأْثَمًـا فَفِـي شُـرْبِهَا صِـرْفًا تَـتِمُّ الْمَـآثِمُ[٤]

فقولُه: **"فِي شُرْبِهَا صِرْفًا تَتِمُّ الْمَآثِمُ"** فإنه لو لم يكن حرف الروي معروفًا لكان من الممكن أن يكون عجز البيت (ففي شربها صرفا يتم المأثم) ولكنه جمع

---

(١) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم(١٠).

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز(٣١٦).

(٣) يقول العصام: " الإرصاد: ويسّميه بعضهم التّسهيم، وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو من البيت ما يدل عليه، إذا عرف الرويّ". الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم(١/ ٩٩).

(٤) يقال: شرابٌ صِرفٌ، أي بحت غير ممزوجٍ. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٤/ ١٣٨٥).

(المآثم) ليتفق الروي، وجمع لأن ما تمليه النفس عند السُّكر متنوع وغير متوقع، وعليه ستتنوع (المآثم) بتنوع الرغبات، وحين جنون العقل وغيابه عند السُّكر، سريعًا ما تُشهر النفس علىٰ صاحبها أسياف الشهوات.

وكذلك استعارة الظرفية الكائنة في حرف الجر (في) للشرب صرف، وكأن كونها صرفًا صيَّر شربها كما الظرف الذي يحتوي جميع المآثم علىٰ اختلافها، ولقوة تأثيرها بدون أن تمزج أو تخلط فيقينًا عمَّ قريب سيغيب العقل، وتبدأ سلسلة الأفكار والخيالات الشهوانية، بغير عقل يعقلها فيكبح جماحها وسطوتها.

ثم يفصل بين البيتين للاتصال المعنوي الذي يسير في ثنايا هذه الدندنة الشعرية، فيقول:

هِـــيَ النَّـــارُ إِلَّا أَنَّنِـــي نِلْـــتُ لَـــذَّةً وَقَضَـــيْتُ أَوْطَـــارِي وَإِنْ لَامَ لَائِـــمُ[1]

فصل بين قوله: "تَتِمُّ الْمَآثِمُ" وقوله: "هِيَ النَّارُ" وذلك لكمال الاتصال بين الجملتين، حيث وقعت الجملة الثانية تأكيدًا لمضمون الجملة الأولىٰ، وحتىٰ يبالغ في تشبيه الخمر بـ (النار) بنىٰ الجملة التشبيهية خالية من أداة التشبيه ووجه الشبه (التشبيه البليغ)، وإن من سمات هذا النوع من التشبيه إخراج الغامض في صورة شيء ظاهر مع حسن التأليف[2]، ولأن التشبيه وقع بين شيئين مختلفين فالخمرة تخالف النار، لكنهما اشتركا في كونهما سببًا للإحراق، أو أن للخمرة لهيبًا

(١) ديوان أبي محجن الثقفي(١٧).

(٢) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الإصبع تـ ٦٥٤هـ(١٦٠) تحقيق: حفني محمد شرف- المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، (د: ت).

كلهيب النار، فالنكتة البلاغية في هذا التشبيه أنه أخرج ما لا قوة له في الصفة إلىٰ ما له قوة في الصفة؛ ليستشعر المخاطب المقدار، فالغرض من هذا التشبيه هو: بيان مقدار حال المشبه، وقد عرف المسند إليه بضمير الغائب لأن له مرجع متقدم مذكور يعود عليه هذا الضمير.

أمّا عند استحضار هيئة أبي محجن حين قوله: "هِيَ النَّارُ"، وكأنه يرددها بصوت بين العلو والخفوت ليُسمع نفسه، فتراه وكأنما أعقب هذه الجملة بتنهيدة لهيبها يحرق وجدانه، ويستذكر رحلته مع الخمرة كاملة في هذه التنهيدة، ثم يختلق لنفسه الأعذار حتىٰ يخرج من هذه السَّكْرَةِ التي قلَّبت عليه الأوجاع، فيقطع الكلام عن طريق الاستثناء قائلًا: "إِلَّا أَنَّنِي نِلْتُ[1] لَذَّةً"، نعم، هي اللذة التي غلبت عليه فأوقعته فيما هو فيه.

ويختار أبو محجن الفعل (نِلْتُ) ليبرر به ما هو فيه، أي أن هذه اللذة التي أصابته قد نالت منه وأوقعته في حبائلها صيدا ولم يستطع منها فرار، أو أن هذه اللذة قد نالت منه كما ينال العدو من عدوِّه، وعند الإصابة بسهم الأقدار حتمًا لا فرار وكأنه يعزي حاله بأن العشق قدر، فالنشوة التي تعتري أبا محجن عند شربه قد استعذبها ورضي بأن يكون أسيرًا للذتها.

ثم يصل الكلام عن طريق (الواو) وذلك لكمال الانقطاع مع الإيهام، فلو أسقط (الواو) لتوهم السامع أن قوله: "قَضَيْتُ أَوْطَارِي"، بغير (الواو) رجوع عن

(١) نَالَ، نَيْلًا: بلغ منه مقصوده. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد الفيومي الحموي، تـ ٧٧٠هـ(٢/ ٦٣٢) المكتبة العلمية، بيروت، (د: ت).

قوله: " نِلْتُ لَذَّةً"، ولكن المراد الجمع بين الشيئين، وكذلك ليربط بين الأعذار التي يسوقها لنفسه حتىٰ صار مقيمًا علىٰ الشرب.

وقوله: "وقَضَيْتُ أَوْطَارِي"، هو الْمُتَّكأُ الثاني الذي يتكئ عليه أبو محجن، والحجة التي يلقيها علىٰ مسامع نفسه، ليعلل بها لنفسه استمراره في معاقرة الخمرة لعلَّها تستريح، وهي كما ترىٰ حجج واهية ضعيفة غرضه منها أن يطرح عن نفسه بعضًا من الملامة؛ ليهدأ صراعه الداخلي الناشئ من علمه بالتحريم واستمراره في الشرب.

ومن الملاحظ في شعر أبي محجن البراعة في اختيار الأفعال التي تدل علىٰ مقصوده، فتراه يستعمل الأفعال التي لا نظير لها في اللغة؛ ليدلل بها علىٰ تفرد حالته وخصوصيتها، وفوق ذلك تراها حبلىٰ بالمعاني وتعطي الكثير من الصور، وترىٰ المعاني التي تنبع من ذات الفعل المستعمل تتشعب وتتنوع؛ لتصنع في عقل المخاطب العديد من الصور المتتابعة، تمكِّنه من إقامة صورة مجسمة في خاطره للحدث، تجعله يرىٰ ما يقال لا يسمعه فقط.

وعليه فقد أتىٰ بالفعل (قضىٰ[1]) في قوله: "وَقَضَيْتُ أَوْطَارِي"، لتُستحضر العديد من الصور المطبوعة في العقل عند إطلاقه، فتارة يكون بمعنىٰ الفراغ، كقولك: قَضَيْتُ حاجتي، ليعطي صورة لرجل يلملم أغراضه بعد أن انتهت المهمة، وأخرىٰ يكون بمعنىٰ الإبلاغ كقولك: قضيت رسالتي أي أبلغتها، ويكون بمعنىٰ الحكم كقولك: قضيت بينهم، أما قضيت ديني فتعني أديته، وكأن قضاء هذا الوطر

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٦/ ٢٤٦٤).

أمر له أهميته عند أبي محجن جعلته يتناسىٰ الحرمة الكائنة في الخمر، وأنه عندما يشرب وتشعر نفسه باللذة فكأنه بشُربه هذا يقضي للخمرة دينًا عليه؛ لأنها هي التي تعطيه هذه اللذة المخصوصة الموجودة في الصِّرْف منها ولا يشربها غيره.

وهكذا يمضي أبو محجن في رسم الصورة الشعرية بانتقاء مدهش ورائع للمفردات والألفاظ التي يعبر بها عن المراد، واستكمالًا لهذا التفرد والتميز التي تتسم بها مفردات هذه المقطوعة، يستعين أبو محجن بـ (**الوَطْر**) ويطرح لفظة (**حاجة**) جانبًا، للفرق الكائن بين اللفظتين، فلو قال مثلًا: قضيت حاجتي، فكأن الذي قضاه أمر عادي ليس له ثقَلٌ أو شأن.

أما قوله: "**وَقَضَيْتُ أَوْطَارِي**"، فالوطر لا يكون إلا لحاجة لك فيها هَمٌّ وعِنايةٌ، وكذلك (**الوطْر**) كلمة واحدة ليس لها نظير، وفوق ذلك فإن هذه اللفظة لا يبنىٰ منها فعل(١)، وهذه الخصائص والميزات الكائنة في هذا اللفظ قد اكتسبها بالتبعية الخمرة فالألفاظ أكسية المعاني!، ولأن شُرب الخمرة هي حاجة أبي محجن التي قضاها، فعن طريق هذا اللفظ كسىٰ أبو محجن المشهد الشعري كاملًا بالأهمية القصوىٰ للخمرة عنده، وكأنه يبوح لها بعشقه.

هِـــيَ النَّـــارُ إِلَّا أَنَّنِـــي نِلْـــتُ لَـــذَّةً وَقَضَـــيْتُ أَوْطَـــارِي وَإِنْ لَامَ لَائِـــمُ

وبناءً علىٰ هذا الوله والهيام بالخمر، لزامًا وأن تكون ملامة اللائمين في طي النسيان وكأنه لا ملام، ولو ترك العاشق المعشوق بسبب اللوم والعتاب، فما أرىٰ إلا أنه لم يعشق من البداية، ولذا جاء ختام المقطوعة معلقا علىٰ الشرط غير متوقَّع الحصول، وتعليق الجملة علىٰ الشرط مع استعمال (إنْ) في قوله: "**وَإِنْ لَامَ لَائِمُ**"،

(١) ينظر: مقاييس اللغة(٦/ ١٢٢)، وتاج العروس(١٤/ ٣٦٤).

فكأنَّ المعنىٰ: حتىٰ إن وقع لوم كأنه لم يقع، وعلىٰ ذلك يكون استعمَال (إنْ) في غير موضعها، فالمجتمع حينئذ كان حريصًا علىٰ القيم الإسلامية والحدود والشرائع أشد الحرص، إنه مجتمع الصحب الأطهار الأخيار رضوان الله عليهم، وحتمًا سيقع منهم لوم وعتاب، فالأوْلىٰ استعمال (إذا) لمعناها الذي وضعت له من إمكانية توقع حصول الشيء، ولكنه عدل عنها إلىٰ (إنْ) ليشير إلىٰ أنه حتىٰ إن وقعت هذه الملامة فكأنها لم تكن.

وهكذا ترىٰ ظاهر شعر أبي محجن أنه العاشق الهائم في الخمر، والضارب بكل الملامة والنصح عرض الحائط، لكنه بين طيات نفسه وخوالج فكره يقر يقينًا أنه علىٰ سوء ومضرة، ويَظهَر صدىٰ هذا اليقين كل حين من رنين الألفاظ المنتقاة باهتمام بالغ، وهذا الانتقاء له مشقته ومعاناته فليس الخبر كالعيان، أو الذي صنع وأبدع كمن قلّد وزوَّر، فالتنقيب عن هذه الألفاظ المخصوصة له جهده الزائد عما هو متداول بين الأيدي كثير الاستعمال.

وكذلك ضعْف الحجج والأعذار التي ذكرها تعليلًا لاستمراره علىٰ الشراب، وكذلك إقراره الضمني بملامة اللائمين المتتابع، فقوله: "وَإِنْ لَامَ لَائِمُ"، فهذه الجملة كذلك تتميم[1] للبيت، ونكتتُه البلاغية التدليل علىٰ أنّ هذه الملامة تشغل باله وتعكر صفو مزاجه، وذكرها دليل علىٰ تكرار ورودها في الخاطر، ولكنه يصنع صنيع المتغافل كأن لم يسمعها.

(١) ينظر: المطول، ص: ٤٩٩.

ثم تُسدَل أستار النهاية علىٰ هذه المقطوعة الفنية المحكمة النسج، السهلة العبارة، السريعة الوصول إلىٰ القلوب والأسماع بعدما اكتملت الصورة التي أرادها أبو محجن وتمت.

والعجبُ كلُّ العجَبِ!، أنه ترك الخمر بل وذمّها وذمّ شاربيها، فيذكر ابن سِيرين أن أَبَا مِحْجن كان لَا يزال يُجْلَدُ في الخمر ولَمّا أكثر سجنوه، حتىٰ كان يوم (أغواث) يومٌ من أيام القادسية في السنة الرابعة عشرة من الهجرة، جال المسلمون في ذلك اليوم جولة حتىٰ كاد المسلمون ينهزموا، وأبو محجن يراهم من محبسه، فنظر إلىٰ حاله نظرة ازدراء وكيف أنه محروم من أشرف ما يتسابق إليه المتسابقون في ظل الإسلام، وهو الجهاد في سبيل الله، وكل ذلك بسبب تعاطي الخمر وشربها.

وتروي له كتب الأدب والتراجم والتاريخ أبياتا شعرية يقولها متحسرا علىٰ حرمانه من الجهاد، وفي آخرها يعاهد الله علىٰ التوبة من شرب الخمر، وألا يغشىٰ الحانات إن فرج الله كربه، وفك أسره، وأمكنه من أن يشارك في الجهاد، فسمعتْ هذه الأبيات أم ولد سعد بن أبي وقاص فرَقَّتْ لحاله(١).

---

(١) يقول أبو محجن الثقفي:

كفىٰ حَزَنًا أن تُطْعَنَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأتركَ مَشْدُودًا عليَّ وَثَاقيَا

إذَا قُمْتُ عَنَاني الحَديدُ وغُلِّقَت ... مَصَارعُ دُوني قد تُصِمُّ الْمُنَادِيَا

وقد كُنْتُ ذَا مالٍ كَثير وإخْوَةٍ ... فأصبحت منهم واحدًا لَّا أخا ليَا

هَلُمَّ سِلَاحي لا أبا لَكَ إنِنيْ ... أرىٰ الحَرْبَ لا تَزْدَادُ الا تَمَاديَا

فإن متُّ كانت حاجة قد قضيتها ... وخلفت سعداً وحده والأمانيا

ديوان أبي محجن الثقفي١٧.

فكلَّمها أبو محجن فأطلقت سراحه بعدما عاهدها علىٰ العودة، وأعطته فرسًا وسلاحًا فجعل لَا يزال يحمل علىٰ رجل من الأعداء إلا يقتله ويدقّ صُلْبَه، وينظر سعد ابن أبي وقاص ﷺ إلىٰ هذا الفارس ويتعجّب ويقول: من الفارس؟، فلم يلبثوا حتىٰ انتصر المسلمون ورجع أَبُو مِحْجَن إلىٰ سجنه وتقيّد كما وعد.

فجاء سعدٌ رضي الله عنه وجعل يخبر امرأته ويقول: لقينا ولقينا، حتىٰ بعث الله رجلًا علىٰ فَرسٍ أبلق، لولا أني تركت أبا محجن في القيود لظننت أنّها بعض شمائله، قالت: والله إنّه لأبو مِحْجَن، وحكت له، فدعا به وحلّ قيوده وَقَالَ: لَا نجلدك علىٰ خمرٍ أبدًا، فَقَالَ: وأنا والله لَا أشربها أبدًا، كنت آنف أنْ أدعها لجلدكم، ولم يشربها بعد(١).

وحسبك أن ترىٰ في قصته تلك أن هذا المجتمع الجاد لا يصح أن يشغل المرء نفسه وغيره بتصوير الشهوات والحنين إلىٰ أيام الضلال؛ لأن مثل هذا الحنين يضعف النفوس ويوهن العزيمة، ودليل علىٰ اهتزاز العقيدة واضطراب اليقين.

(١) ينظر: تاريخ الإسلام(٣/ ٣٠١).

المبحث الثاني: شعره في هَجْر الخَمْرِ وذَمِّهَا

بعد التحليل البلاغي المتأني لشعر أبي محجن عند عشقه للخمر، وعلىٰ قدر المستطاع قد تم استخراج الغرض من النكات البلاغية، بعد التعرض لها بالتحليل مع إجراء الأسس النقدية عليها، التي جاءت نتائجها مؤكدة علىٰ علوِّ هامة أبي محجن بين الشعراء الذين ذكروا الخمر في أشعارهم، مع رسوخ قدمه الرسوخ الذي جعل ألفاظه تخبر عنه أنه عربي من العرب الأقحاح الذين يُحتجّ بكلامهم، ويُستدل علىٰ صحة القواعد العربية بقولهم، وله الشأن والمقام الشعري بين أقرانه ما له وإنْ كان مُقِلًّا في شعره.

أما القادم من الصفحات فسيكون بين شعره الذي تاب ودعا فيه إلىٰ هجرة الخمر، **يقول أبو محجن في ذمِّ الخمر وهجرتها:** **(الطويل)**

أَتُــوبُ إِلَــىٰ اللهِ الــرَّحِيمِ فَإِنَّــهُ غَفُــورٌ لِـذَنْبِ الْمَـرْءِ مَـا لَـمْ يُعَـاوِدِ
وَلَسْتُ إِلَىٰ الصَّهْبَاءِ مَا عِشْتُ عَائِدًا وَلَا تَابِعًــا قَــوْلَ السَّــفِيهِ الْمُعَانِــدِ
وَكَيْـفَ وَقَـدْ أَعْطَيْـتُ رَبِّـي مَوَاثِقًـا أَعُــودُ لَهَــا واللهُ ذو العَــرْشِ شَــاهِدِي
سَــأَتْرُكُهَا مَذْمُومَــةً لَا أَذُوقُهَــا وَإِنْ رَغِمَـتْ فِيهَـا أُنُـوفُ حَوَاسِـدِي(١)

في هذه المقطوعة الشعرية يعلن أبو محجن رضي الله عنه توبته وهجرته للخمر، وكما كان يشدو هائمًا في عشق الخمر علىٰ نغمات البحر الطويل، كذلك يعلن توبته علىٰ ذات النغمات، ويستهل توبته بالفعل المضارع الذي يدل علىٰ التجدد والاستمرار فيقول: **"أَتُوبُ إِلَى اللهِ الرَّحِيمِ**، ومن أول قراءة لهذه الأبيات تستشعر فيها الطمأنينة والسلام الداخلي، فقد جاءت الجملة خبرية خالية من

(١) ديوان أبي محجن الثقفي(١٧).

التأكيدات أو المنبهات، وكذلك لم يعلقها علىٰ شرط يحتاج إلىٰ جواب، وهذا ما تتطلَّبُه التوبة، فقط الاستسلام لمراد الله والسير علىٰ مقتضىٰ تشريعاته، مع الحرص علىٰ تجديدها، وهذا ما بثه الفعل المضارع (أَتُوبُ) في مستهل المقطوعة.

ثم يستعمل (إلى[1])، التي تدل علىٰ الانتهاء مطلقا زمانيا كان أم مكانيا، وعليه يكون المعنىٰ أن منتهىٰ إعلان التوبة هذا إلىٰ الله في كل زمان ومكان، وهذا ما لن تعطيه (اللام[2]) فلو أنه قال: "أتوب لله"، فالمعنىٰ مع (اللام) لن يكشف عن المشوار والجهد المبذول في ترويض النفس لكفِّها عن معاقرة الخمر؛ فهي ستُظهر أن شرب الخمر مستحق للتوبة لله والاقلاع عنه ضرورة وكفىٰ.

وليس كذلك (إلى) فإنها تضع الطريق من بدئه وحتىٰ منتهاه في الاعتبار، وكذلك تشعر معها بانقضاء الوقت في طريق العودة إلىٰ الله بالتوبة، حتىٰ انتهت النفس بعد مجاهدة وتدريب إلىٰ إعلان التوبة ومن ثَمَّ استقامتها وانضباطها، وكذلك تشير إلىٰ أن أبا محجن ﷺ يبيِّن تفضيله التوبة عن التمادي في الشراب وكل هذا باستعمال (إلى)[3].

وفي اختياره للاسم العلم علىٰ الذات الإلهية (اللهِ) اعتراف منه أن مرجع كل شيء ومنتهاه إليه وحده، إذ هو الأول والآخر وقابل التوب، أما من جهة اختيار اسم الله (الرَّحِيمِ) دون غيره، فرحمة الله ﷻ ابتداءً هي إرادة الخير والإحسان لعباده،

---

(١) ينظر: شرح تسهيل الفوائد(٣/ ١٤١).

(٢) ينظر: الأصول في النحو، لأبي بكر المعروف: بابن السراج تـ ٣١٦هـ(١/ ٤١٣) تحقيق: عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م.

(٣) ينظر: شرح تسهيل الفوائد(٣/ ١٤٢).

و(الرَّحْمَنُ) أشد مبالغة من (الرَّحِيمِ)؛ لأن زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ، ولكن (الرَّحِيمِ) بمعني الغفور الكافي للمؤمنين في الآخرة فهو علىٰ الخصوص، وقد تحدث العلماء السلف في معناهما كثيرًا، فقد قيل (الرَّحْمَنُ) رحمان الدنيا ورحيم الآخرة، وقيل (الرَّحِيمِ) هي ترك عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلىٰ من لا يستحق، وقيل (الرَّحْمَنُ) يكشف الكروب، و(الرَّحِيمِ) يغفر الذنوب، وقيل (الرَّحْمَنُ) بتبيين الطريق، و(الرَّحِيمِ) بالعصمة والتوفيق(١).

فاختار أبو محجن ﷺ (الرَّحِيمِ) لأنه عائدٌ بعد عصيان بالتوبة آمِلًا قبول طاعاته، إنه التائب إلىٰ مولاه العائذُ باسمه (الرَّحِيمِ) فرحمته ﷻ هي المنجية من عقوبته، فهو (الرَّحِيمِ) الذي يقبل الطاعات وإن كنَّ قليلات، وهو الرَّقِيقُ الرَّفِيقُ لِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحَمَهُ، فـ (الرَّحِيمِ) تكون عند التوبة أو بعدها لعل الله -جلّ شأنه- يقبلها، واستعمال أسماء الله الحسنىٰ في مواضعها دليل علىٰ العلم بما ترمي إليه ومقصودها، وقد وُفِّق أبو محجن ﷺ أيّما توفيق في استعمالها.

ثم ينتقل عن طريق (الفاء) العاطفة في قوله: " فَإِنَّهُ غَفُورٌ لِذَنْبِ الْمَرْءِ"، ومؤَكِّدًا كلامه بـ (إن)، وبهذا التأكيد قد خرج الكلام إلىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر، فمغفرة الله ﷻ لا تحتاج إلىٰ تأكيد؛ فهو الذي أخبر عن نفسه بأنه هو الغفور الرحيم، لكن ولأن العاصي العائد من الذنب يظن أنه قد صنع في جناب الله ﷻ الصنيع الذي لا يستحق المغفرة، فتكون نفسه مترددة بين الرغبة والرهبة، بين الوجل والأمل،

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد الثعالبي تـ ٤٢٧هـ(١/ ١٠١) تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور- دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

طمعًا في منَّةٍ من المنَّان يمنُّ بها علىٰ عبده الذي وقع في العصيان، وعلىٰ ذلك تعامل أبو محجن فأنزل نفسه منزلة المترددة وأكد لها الكلام بـ (إنَّ).

أَتُــوبُ إِلَــىٰ اللهِ الــرَّحِيمِ فَإِنَّــهُ غَفُــورٌ لِــذَنْبِ الْمَــرْءِ مَــا لَــمْ يُعَــاوِدِ

ثم يعرف المسند إليه بالضمير (**فَإِنَّهُ غَفُورٌ لِذَنْبِ الْمَرْءِ**)، الهاء في (**إنَّه**) بغرض التعظيم للقدر والجلال الإلهي، وبهذا الضمير التفت[1] أبو محجن ﷺ من الحديث عن التوبة إلىٰ الكلام عن المولىٰ ﷻ للإخبار عن صفة الغفور المتأصلة في ذاته، ويستعمل المغفرة علىٰ صيغة (فَعُول) فيقول: "**غَفُورٌ**"، وهذه الأوزان المخصوصة موضوعةٌ لإفادةِ المبالغةِ في الوَصْفِ، وصيغة (فعول) لها خصوصية فإنها لا تؤنث وكذلك يستوي فيها المفرد والجمع فلهذه الصيغة خصوصية، دللت علىٰ خصوصية حالة أبي محجن، صحابي ومن الفرسان ومدمن خمر إنه لأمر عجاب وما هو بالأمر المعتاد.

وقد جاءت المبالغة لتكرار وقوع الوصف، وكذلك نكَّرها وجاء بالتنوين الذي يدل علىٰ التمكن، ليدلل علىٰ رشاقة هذه الصيغة، فإن التنوين ثقلٌ يحتمله الاسم وبه يستدل علىٰ بيان خفة هذا الاسم[2]، فلعلها البشرىٰ التي يبشر بها نفسه أن كلّ ذنب جوار مغفرة الله ﷻ هيِّن فهو الغفور.

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٢/ ٨٦).

(٢) ينظر: مسائل خلافية في النحو، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري تـ ٦١٦هـ(١١٦) تحقيق: محمد خير الحلواني- دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

أمّا قوله: "لِذَنْبِ الْمَرْءِ"، فهذه الجملة تتميم للمعنىٰ فإن غفران الله ﷻ للذنب أصل أصيل في ذاته، وقد تم المعنىٰ واتضح في قوله: "فَإِنَّهُ غَفُورٌ"، ولا غفران إلا علىٰ ذنب أو عصيان، وذكر (ذَنْبِ) دون غيره من الألفاظ التي تدل علىٰ الوقوع في المعصية، لأن الذنب(١) يتبعه ذم وهكذا هي الخمرة يتبعها الملامة، وعند سَوْرَة السُّكر تعقبها نتيجة فعله في سَوْرته وهو غائب الوعي، ثم عرّف (الْمَرْء) والتعريف تخصيص، لأنه عند التنكير يقال: "امْرُؤ"، وكل هذه الإشارات للتدليل علىٰ كون الحديث فيه من الخصوص وحديث الذات إلىٰ الذات، وفي إسناد (ذَنْبِ) إلىٰ (الْمَرْء) مجاز عقلي علاقته الفاعلية.

ولكن هذا يتناقض عند ذكر تمام البيت حيث يقول: "مَا لَمْ يُعَاوِدِ"، هذه الجملة ابتداءً احتراس أو تكميل لدفع توهم من المحتمل أن يكون فأتىٰ بها لدفع هذا التوهم، وقد علّق علىٰ هذه الجملة أبو هلال العسكري عند تحقيق الديوان قائلًا:"ليس لقوله: مَا لَمْ يُعَاوِدِ معنىٰ يصح؛ لأنه إنْ عاود وتاب غفر الله له، والمعاودة في ذلك كالابتداء"(٢)

وكأن أبا هلال العسكري قد رأىٰ هذه الجملة، أن أبا محجن رضي الله عنه يعني: أنّ الإتيان بالذنب ثم التوبة منه وكأنها إعلان لترك هذا الذنب أبدًا، فإن فعَلَ ثانية لا مغفرة وهذا ليس بحاصل، فالمغفرة متجددة دومًا وقد تعددت الصيغ التي تدل عليها من الغافر والغفّار وكذلك الغفور، فكيف لأبي محجن أن يعلِّق المغفرة علىٰ عدم العودة إلىٰ الذنب؟.

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية، (٢٤٤).
(٢) ديوان أبي محجن الثقفي(١٦).

فهذه الصورة هي التي جعلت أبا هلال العسكري يستنكر علىٰ أبي محجن ﷺ ذكرها في البيت، ولعل الذي أغرىٰ أبا هلال العسكري هو قولُ أبي محجن رضي الله عنه: **"لِذَنْبِ الْمَرْءِ"**، فأعطت الشعور بأن الحكم عام، ولكن المعنىٰ ليس علىٰ العموم، وما ينبغي أن يكون مراده ﷺ كذلك.

والبيان: لقد بنىٰ أبو محجن رضي الله عنه أّول المقطوعة علىٰ الفعل المضارع المبدوء بالهمزة (**أَتُوبُ**) التي تدل علىٰ التكلم، وكأنّ المقطوعة بكاملها ستكون حديثًا بينه وبين نفسه علىٰ طريقة التجريد(١)، ثم بدأ يثني علىٰ المولىٰ ﷻ بذكر اسمه والصفات التي تتناغم مع الحال التي هو عليها، ثم أتىٰ بهذه الجملة التكميلية (**مَا لَمْ يُعَاوِدِ**) وكأنه يحذر نفسه من العودة ثانية إلىٰ شرب الخمر حتىٰ يشُدَّ مِنْ أزرها ويُقَوِّي عزيمتها، وكل الظن أن هذه القصيدة قالها عند بدايات التوبة والإقلاع عن شرب الخمر.

وعلىٰ ذلك جاء بالالتفات في البيت الذي يليه ويتوجه بالحديث ثانية إلىٰ نفسه، وينتقل إليه عن طريق الوصل بـ (**الواو**) قائلًا:

وَلَسْتُ إِلَىٰ الصَّهْبَاءِ مَا عِشْتُ عَائِدًا وَلَا تَابِعًا قَوْلَ السَّفِيهِ الْمُعَانِدِ

فقوله: **"وَلَسْتُ إِلَى الصَّهْبَاءِ"**، وصل الكلام بين الجملتين، والعلة من الإتيان بهذه (**الواو**) التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية

(١) التجريد: وهو أن يُنتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة؛ مبالغة في كمالها فيه، (ومنه حديث المرء مع نفسه). ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة(٤/ ٦٠٩).

والنفي واختلفتا في المعنىٰ، وكذلك فإن مجيء (الواو) له علة أخرىٰ أشار إليها الجرجاني قائلًا:

"وممَّا يجيءُ بالواو في الأكثرِ الأَشْيع، ثم يَأتي في مواضعَ بغيرِ (الواو) فَيْلطُفُ مكانُه ويَدلُّ علىٰ البلاغة، الجملةُ قد دَخلَها "ليس" تقول: "أتاني وليس عليه ثوبٌ" و "رأيته وليس معه غيرُه"، فهذا هوَ المعروفُ المُسْتعمَل"(١)

وأمّا بناء الجملة بعدها ففيها من الإحكام ما يدل علىٰ التأني والتريث عند صياغتها علىٰ تلك الحال، وأن كل لفظ قد تمّ انتقاؤه بعناية، فتراه قد نفىٰ أولًا بفعل ناقص وهو (لسْتُ(٢)) وزاد من نقصانه بإضافته إلىٰ (تاء) المتكلم وهي المسند إليه بأنْ حذف حرف العلة، واختاره لخصوصية فيه، وهو أنه لا يأتي إلا ناقصًا، كما أنه لا يتصرف ودومًا متعطش لذكر خبره فلا يستعمل بدونه، كما أنّ الفعل الناقص يدل علىٰ الزمن ولا يدل علىٰ الحدث، وكأنه يريد في حالته تلك نسيان ما كان عليه من شرب للخمر، ويمحو كل شيء يدل علىٰ حدث شربها حين كان يشرب.

ثم قدَّم الجار والمجرور في قوله: "إِلَى الصَّهْبَاءِ"، وقدَّمه لأنه الأوثق صلة بغرض الكلام وسياقه، وعند تقديم الشيء ترىٰ له خصوصية، وذكر (الصَّهْبَاءِ(٣))

---

(١) دلائل الإعجاز (٢١٠).

(٢) يقول ابن هشام:" سمي نَاقِصا: لكَونه لم يكتف بالمرفوع، وعَلىٰ قَول الْأَكْثَرين؛ لِأَنَّهُ سلب الدّلَالَة علىٰ الْحَدث وتجرد للدلالة علىٰ الزَّمَان وَالصَّحِيح الأول". شرح قطر الندىٰ وبل الصدىٰ، لأبي محمد جمال الدين ابن هشام تـــ ٧٦١هـ(١٣٧) تحقيق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد- المكتبة التجارية الكبرىٰ، القاهرة، الطبعة: السابعة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

(٣) ينظر: فقه اللغة وسر العربية(١٨٧).

لأنها أفضل أجناس الخمر التي تصنع من العنب، وكأن حاله يقول: حتىٰ لو كانت الخمرة المعروضة أمامي أفضلها وأندرها لست بعائد لها.

ثم يطنب في كلامه وكأنه يريد أن ينبِّه نفسه فاحترس بقوله: "مَا عِشْتُ"، حتىٰ لا تتوهم نفسه أن الابتعاد عن الخمرة مؤقت، بل هو طيلة معاشه حتىٰ تتأقلم نفسه علىٰ معاشها الجديد بدونها، فأتىٰ بهذا التكميل أو الاحتراس ليدفع هذا التوهم المحتمل.

أما شبه الجملة (إِلَى الصَّهْبَاءِ)، وجملة (مَا عِشْتُ) فمقدمتان علىٰ الخبر في قوله: "عَائِدًا"، وكذلك دومًا ما ترىٰ أنّ الاهتمام والعناية تابعين للتقديم أينما حلَّ، ثم ينتقل عن طريق الوصل إلىٰ الشطر الثاني قائلًا:

وَلَسْتُ إِلَىٰ الصَّهْبَاءِ مَا عِشْتُ عَائِدًا وَلَا تَابِعًا قَوْلَ السَّفِيهِ الْمُعَانِدِ

وعن طريق (الواو) يشرك الشطر الثاني مع الشطر الأول في الحكم وليربط بينهما، ووصل بين جملة (مَا عِشْتُ عَائِدًا) وجملة (وَلَا تَابِعًا قَوْلَ السَّفِيهِ) لكمال الانقطاع مع الايهام بين الجملتين، فلو قال: مَا عِشْتُ عَائِدًا لَا تَابِعًا قَوْلَ السَّفِيهِ، لتوهم المستمع أن قرار تخليه عن تعاطي الخمر جاء نتيجة اتباعه لقول أحدهم وليس نابعًا من ذاته، فكان ذلك سببًا للوصل بـ (الواو)، لكي يكون المعنىٰ: لو أن سفيهًا معاندًا أشار عليه بالشرب ثانية فلن يتبع قوله بعدما عزم علىٰ الإقلاع، فدفع هذا التوهم ووصل ليشرك الجملتين في حكم واحد.

أمّا (لا) العاملة عمل (ليس)[١] في قوله: "وَلَا تَابِعًا قَوْل السَّفِيهِ الْمُعَانِدِ"، ففيها استعارة؛ لأنها استعملت في غير ما وضعت له، فشبهت بـ (ليس) في العمل فرفعت المبتدأ وجعلته اسمها، ثم يحذِف المسند إليه لأن مضمون الكلام أو الخبر في عمومه لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء[٢].

ثم أسند (تَابِعًا) إلىٰ (قَوْل) إسنادًا مجازيًّا، فقد أسند اسم الفاعل وهو في معنىٰ الفعل إلىٰ المصدر ،والعلاقة أن القول له مزيد قربىٰ بالفاعل الحقيقي، وهي من العلاقات التي خرجت عن تعريف الخطيب القزويني[٣]؛ لأنه هو الوسيلة التي يستميل بها السفيهُ أبا محجن رضي الله عنه، وفي وقوله: "قَوْل" مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث عبر بالقوْل وأراد الشخص السفيه كله، وكل ذلك ليهيئ المستمع ويمكنه من رسم الألفاظ التي تلقىٰ علىٰ مسامعه وجعلها صورة تتحرك، وكذلك في إسناد (قَوْل) إلى (السَّفِيهِ)، مجاز عقلي علاقته الفاعلية، وهذه المجازات المتتالية تبني الصورة في الخاطر مع إحداث المؤثرات التي تحيط بها.

أما من جهة اختيار (السَّفِيهِ[٤]، دون غيرها من الصفات؛ لأن من معانيها أن يكثر الرجل من الشرب ولكنه لا يرتوي، وهذا هو الحال الذي يكون عليه متعاطي

---

(١) ينظر: شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك، لأبي الحسن علي بن محمد الأُشْمُوني الشافعي تـ٩٠٠هـ(١/ ٢٦٥) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٢/ ٥).

(٣) ينظر: خصائص التراكيب(٧٦).

(٤) سَفَهَ: السِّينُ وَالْفَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ خِفَّةٍ وَسَخَافَةٍ، وَهُوَ قِيَاسٌ مُطَّرِدٌ،... فَالسَّفَهُ: ضِدُّ الْحِلْمِ، والسَّفَه: أَنْ يُكْثِرَ الْإِنْسَانُ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ فَلَا يَرْوَىٰ. ينظر: مقاييس اللغة(٣/ ٨٠).

الخمر، مع إضافته إلىٰ (**الْمُعَانِدِ**[1]) وكأن أبا محجن ﷺ يشير إلىٰ أن الذي يشير عليه بالعودة إلىٰ شرب الخمر، عالم بكونها حرام وذلك من نعته بـ (**الْمُعَانِدِ**)، ولكن حاله حال مَن يأبىٰ أن يقِرَّ بما يعرفه، وقدّمَ (**السَّفِيهِ**) علىٰ (**الْمُعَانِدِ**) لأنه لا يزال يشرب وبينهما من الخصوص والعموم فالسفه أعم من العند ومن مسبباته.

ثم يصل بين الأبيات عن طريق (**الواو**) ومستفهما يقول:

وَكَيْـفَ وَقَـدْ أَعْطَيْـتُ رَبِّـي مَوَاثِقًـا أَعُـودُ لَهَـا واللهُ ذو العَـرْشِ شَـاهِدِي

يصل الكلام للتوسط بين الكمالين حيث اختلفت الجملتان خبرًا وإنشاءً، فالجملة الأولىٰ خبرية (**قَوْلِ السَّفِيهِ الْمُعَانِدِ**) والثانية إنشائية استفهامية (**وَكَيْفَ**)، وبناء الجملة إنشائية هذا من تصرف القائل وقصده ذلك، وإذا ما نطقت بالاستفهام مع تمام الجملة بعده (**وَكَيْفَ وَقَدْ أَعْطَيْتُ رَبِّي مَوَاثِقًا**)، يعطيك معنىٰ التعجب ليخرج عن معناه الأصلي إلىٰ معنىٰ جديد اقتضاه الكلام.

أمّا إذا نطقت بالاستفهام وحده (**وَكَيْفَ**)، ثم أكملت الجملة بعده، فسترىٰ أن معنىٰ الاستبعاد هو المعنىٰ الذي يسيطر علىٰ ذهنك، وكأنه يسائل نفسه إن هي حدثته بتناولها ثانية، فيأتي الاستفهام وكأنه صوت العقل الذي يباعد بين ما توسوس به إليه نفسه، وبين الذي أصبح عليه الآن بعد هجرة الخمر والابتعاد عن مجالسها.

ولذلك قدم الجملة الحالية التي جاءت بعد الاستفهام والتي تقوي معنىٰ الاستبعاد وفيها يقول: "**وَقَدْ أَعْطَيْتُ رَبِّي مَوَاثِقًا**" علىٰ المسند المؤخر في قوله:

(١) المعاندة هي: أن يعرف الرّجلُ الشيءَ ويأبىٰ أن يقبلَه أو يقر به. العين(٢/ ٤٢).

"أَعُودُ لَهَا"، فتقدير الكلام (كيْفَ أَعُودُ لَهَا وَقَدْ أَعْطَيْتُ رَبِّي مَوَاثِقًا)، وهذه الجملة الاعتراضية[١] جاءت بين المسند إليه والمسند المؤخر؛ لتؤكد معنىٰ الاستبعاد وكأنها العلة لهذا الاستفهام، ووصل بينهما بـ (الواو) لعلتين:

الأولى: أن الجملة الفعلية فعلها ماضٍ مسبوق بـ (قد)، والفعل الماضي لا يكون حالًا إلا مع (قد)، وفي هذه الحال لا يأتي بغير (الواو)[٢]، وكأن أبا محجن رضي الله عنه يشرح حالته ويبينها ليعلم الجميع أن حاله مع الله ﷻ أنه قد أعطىٰ المواثيق علىٰ ترك الخمر، أو أنه يحدث نفسه ويذكرها ليقويها علىٰ إتمام الميثاق والابتعاد عن طرقها، وقد أعطت صيغة منتهىٰ الجموع في قوله: "مَوَاثِقًا" علىٰ وزن (مفاعل)، أن هذه المواثق عديدة ومتنوعة، وعنده ذات بال.

أما الثانية: فلكمال الانقطاع بين الجملتين مع وجود الإيهام، مثلًا إن قال: " وَكَيْفَ قَدْ أَعْطَيْتُ رَبِّي مَوَاثِقًا"، لكان المعنىٰ أنه يريد أن يستمع لقول السفيه ويتبعه ويشرب، ولكن المواثيق التي أخذها علىٰ نفسه هي التي تمنعه، أمّا هو فيريد أن يشرب.

لكن مع الوصل يكون المعنىٰ: أنه يستبعد أن يقع في هذه المعصية ثانية فهو من داخله مقتنع بالتخلي والإقلاع عنها، وقد أعطىٰ الله المواثيق بعد اقتناعه وعزمه ليعينه علىٰ عدم العودة إليها، أبعد ما عافاه الله منها يعود؟، ما هكذا يكون فعل الفرسان.

ويؤخر المسند الجملة الفعلية في قوله: "أَعُودُ لَهَا"، ويفصل بينها وبين الجملة الاعتراضية لعلتين كذلك:

---

(١) ينظر: المطول(٤٩٩).

(٢) ينظر: دلائل الاعجاز(٢٠٩).

الأولى: أنها جملة فعلية فعلها مضارع مثبت غير منفي فلا تكاد تراه مستعملًا بـ (الواو)، ومجيؤه خاليا منها هو المعروف.

والثانية: أنه تقدمت هذه الجملة جملتان يصح عطفها علىٰ أحدهما، فترك العطف لئلا يتوهم غير المراد لشبه كمال الانقطاع، وإن المعنىٰ مع العطف سيكون علىٰ جهة العتاب والملامة للنفس فحينئذٍ سيكون قد عاد للشراب، وكأنه ممسك بكأسه بعدما فعلت بعقله الخمرُ ما فعلت، فيتذكر المواثيق التي أخذها، فيعاتب نفسه علىٰ تخليه عن هذه المواثيق مع غلظتها وثقلها، فكيف بعد كل هذه المواثيق ويعود لها.

أما بغير الوصل فسيكون المعنىٰ: كأن هناك من يُلِحُّ عليه ليجلسا سويًّا يشاركه الشراب، وأبو محجن رضي الله عنه يرد عليه باستبعاد حدوث ذلك، أو أنه قد جاء بخاطره وتذكر الخمرة ومجلسها فهفت نفسه إلىٰ تلك المجالس، فيذكِّرُها بما عاهد عليه الله ﷻ، وعلىٰ هذا المعنىٰ يُستدل ويُستنبط أنه كان ببدايات إقلاعه عن شربها.

وَكَيْفَ وَقَدْ أَعْطَيْتُ رَبِّي مَوَاثِقًا أَعُودُ لَهَا واللهُ ذو العَرْشِ شَاهِدِي

(**واللهُ ذو العَرْشِ شَاهِدِي**) يصل بين الجمل، والعلم بمواضع الفصل والوصل دليل علىٰ العربية الخالصة كما ذكر الجرجاني قائلًا:

"اعلمْ أنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها علىٰ بعضٍ، أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورة، تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرىٰ من أسرارِ البلاغة، ومما لا يتأتَّىٰ لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص، وإلا قَوْمٌ طُبِعُوا علىٰ البلاغة، وأوتوا فنًّا مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ، وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدّاً للبلاغة"(١).

(١) دلائل الإعجاز(٢٢٢).

وقد تبيَّن عن طريق التحليل أن أبا محجن ﷺ عالم بهذه الفروق الخفية التي تُصنع في الجمل حتىٰ صارت بهذه السهولة والرشاقة، ويصاحبهما الانسيابية في التنقل بين المشاهد والصور لتكتمل الأبيات علىٰ أحسن ما يكون من الحبكة الشعرية مع تمام المعنىٰ.

ثم يصل فيقول: "واللّٰهُ ذو العَرْشِ شَاهِدِي"، فوصل للتوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان في الخبرية واختلفتا في كون الأولىٰ فعلية (أَعُودُ لَهَا)، والجملة الثانية اسمية (واللّٰهُ ذو العَرْشِ)، ثم جعل لفظ الجلالة مسندًا إليه (اللّٰهُ)، ثم تمَّم[1] كلامه عن طريق قوله: "ذو العَرْشِ"، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مَالِكُ الْعَرْشِ وَمُدَبِّرُهُ وَخَالِقُهُ، وقيل: ذُو الْعَرْشِ أَيْ ذُو الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ عَلَىٰ سَرِيرِ مُلْكِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ السَّرِيرِ[2]، وإنه ما خلق الله – عز وجل –خلقا أعظم من العرش لأن السموات والأرض قد غابتا تحته[3]، وهذا تتميم جاء للتأكيد، واختير (ذو) دون صاحب لأنه اشْترط فِيها أَن يكون الْمُضَاف أشرف من الْمُضَاف إِلَيْهِ، بِخِلَاف (صَاحب) فيُقَال: "ذُو الْعَرْش" وَلَا يُقَال: "صَاحب الْعَرْش"[4].

ثم يأتي بالمسند قوله: "شاهِدِي"، وكأن المعنىٰ أن الله عالم بكل ما هو كائن وبكل ما سيكون، فكيف لأبي محجن ﷺ إذا شرب الخمرة بعد كل المواثق التي أعطاها وهو يعلم أن الله يشاهده، لا يتأتىٰ منه ذلك وهو فارس يعرف معنىٰ العهد

---

(١) ينظر: المطول(٤٩٩).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله الرازي تـ ٦٠٦هـ(٣١/ ١١٤) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن البلخي تـ ١٥٠هـ(٤/ ٦٤٩) عبد الله محمود شحاته- دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

(٤) ينظر: الكليات، لأبي البقاء الكفوي تـ ١٠٩٤هـ(٤٦٠) تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري- مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م.

وكذلك هو صحابي من صحابة رسول الله ﷺ، فما كان له أن يتجاهل شهادة الله جل وعلا عليه عند اعطائه المواثق.

ثم فصل بين البيتين للاتصال المعنوي بينهما فيقول:

سَـــأَتْرُكُهَا مَذْمُومَـــةً لَا أَذُوقُهَـــا وَإِنْ رَغِمَـتْ فِيهَـا أُنُـوفُ حَوَاسِـدِي(١)

فصل للقطع حيث جاءت الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولىٰ لكون عطفها عليها موهمًا لعطفها علىٰ غيرها، أما السين فقد دللت علىٰ صدق العزيمة عند شروعه في فعل الفعل، وليس كذلك سوف فإن فيها معنىٰ الإطماع والتأجيل(٢).

ثم يختار الفعل (**أتْرُكُ**) حتىٰ يشير إلىٰ أن قرار هجر الخمرة نابع من ذاته وذلك من معنىٰ الفعل، لأنه يدل علىٰ القدرة علىٰ فعل الفعلين معا الترك أو العودة إلىٰ الشراب، فآثر أبو محجن ﷺ هجر الخمرة وتركها علىٰ أن يظل في تعاطيها، وهذا الترك جاء عن اختيار منه وقدرة علىٰ الاتيان بالفعل من عدمه، فإنه إذا تساوت القدرة علىٰ ترك أحد الضدين وانصرف القادر بفعل أحدهما عن الآخر سمىٰ الموجود منهما تركا(٣).

أمّا قوله: "**مَذْمُومَةً**" فهي تتميم للمعنىٰ وتأكيد علىٰ صدق نية الهجران، بأن زاد علىٰ هجرها بذمها، ثم فصل بين الجملتين جملة (**سَأَتْرُكُهَا مَذْمُومَةً**) وجملة

---

(١) ديوان أبي محجن الثقفي(١٧).

(٢) الفرق بين (سَوْفَ) و(السين) في سيفعل: أن سوف إطماع كقولهم: سوَّفْتُه، أي: أطمعته فيما يكون، وليس كذلك (السين). معجم الفروق اللغوية(٢٨٨).

(٣) ينظر: معجم الفروق اللغوية(١٢٤).

(لَا أَذُوقُهَا) لكمال الاتصال بين الجملتين حيث وقعت الجملة الثانية تأكيدًا لمضمون الجملة الأولىٰ، فوجب الفصل وعدم الاتيان بـ (الواو).

وجملة (وَإِنْ رَغِمَتْ[1] فِيهَا أُنُوفُ حَوَاسِدِي) كاملة إيغال[2]، حيث ختم البيت بجملة قد تم المعنىٰ بدون ذكرها ولكنه أتىٰ بها لزيادة المبالغة، ثم بنىٰ الجملة عل الشرط غير متوقع الحصول مستعملًا (إنْ)، وكما طرح ملامة اللائمين عند شربه لها جانبًا، كذلك يضع أنوف الذين يحسدونه علىٰ تركها في التراب ولا يقيم لحسدهم وزنًا.

ومن البيِّن في شعر أبي محجن ﷺ عند هجرته للخمرة ترىٰ فيه الصدق والصبر علىٰ ترويض نفسه حتىٰ إن واجهته المعوقات والصعوبات، وقد جاء إعلانه للهجر مكسوًّا بلفظ سهل وعذب معناه قريب من الأفهام، مع حبكة واضحة في نظم الجمل ومن ثَمَّ التراكيب، مع قلة في الصور البيانية، وكأن هذه القلة البيانية قد أراد منها أن يعبر بالحقيقة الكائنة في قلبه، فعبر عنها بالتراكيب الحقيقية لتدل أتمَّ دلالة علىٰ حاله، مع العلم بمواضع الفصل والوصل فاستعملها في المواضع المختلفة كل نوع في موضعه ومكانه، وهكذا جاء شعر أبي محجن ﷺ متوافقًا مع غرضه الذي أراده.

ويقول في موضع آخر في هجرة الخمر (الطويل)

يَقُولُ أُنَاسٌ اشْرَبْ الخَمْرَ إِنَّهَا إِذَا القَوْمُ نَالُوهَا أَصَابُوا الغَنَائِمَا

(١) رَغَمَ: الرَّاءُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا التُّرَابُ، وَالْآخَرُ الْمَذْهَبُ، فَالْأَوَّلُ الرَّغَامُ، وَهُوَ التُّرَابُ، وَمِنْهُ "أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَهُ" أَيْ: أَلْصَقَهُ بِالرَّغَامِ. مقاييس اللغة(٢/ ٤١٣).

(٢) الإيغال هو: ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنىٰ بدونها كزيادة المبالغة. المطول(٤٩٥).

فَقُلْتُ لَهُمْ جَهْلًا كَذَبْتُمْ أَلَمْ تَرُوا أَخَاهَا سَفِيهًا بَعْدَ مَا كَانَ حَالِمًا

وَأَضْحَىٰ وَأَمْسَىٰ مُسْتَخَفًّا مُهيَّمًا وَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَرَىٰ الْمَرْءَ هَائِمًا (١)

في هذه المقطوعة الشعرية المبنية علىٰ نغمات البحر الطويل يخبر أبو محجن ﷺ أنه لم يسلم من دعوة الناس له لكي يشرب الخمرة ثانية، وأنه قد واجه مناقشات عديدة لبيان سبب وكيفية التخلي عنها، فيعرض في هذه الأبيات بعضًا من هذه المناقشات وعلل كل فريق، فيبدأ محاجاته قائلًا:

يَقُولُ أُنَاسٌ اشْرَبْ الخَمْرَ إِنَّهَا إِذَا القَوْمُ نَالُوهَا أَصَابُوا الغَنَائِمَا

يستهل المقطوعة بالفعل المضارع في قوله: "يَقُولُ أُنَاسٌ"، وفي الكلام المبدوء بالفعل (قال) وشِبْهُهُ يقول الجرجاني:

"اعلم أنَّ الذىٰ تراهُ في التنزيلِ من لفظِ "قال" مَفصولاً غيرَ معطوف، هذا هو التقديرُ فيه،... جاء علىٰ ما يقعُ في أنفسِ المخلوقين منَ السُّؤال، فلما كان في العُرفِ والعادةِ فيما بينَ المخلوقينَ إذا قيل لهم: "دخلَ قوم علىٰ فلان فقالوا كذا"، أخرجَ الكلامَ ذلك الْمخْرجَ، لأنَ الناسَ خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللطف معهم الْمَسْلكُ الذي يَسْلُكُونه"(٢).

حيث جاءت الجملة الخبرية خالية من التأكيدات، وكأن ما يقوله الناس بات أمرًا معهودًا عند أبي محجن ودوما ما يتعرض لهذه المقالات، ثم نكّر المسند إليه (أُنَاسٌ) بغرض التكثير(٣)، وكأنَّ كل مَنْ علم بخبر هجره للخمر حدثه وراجعه في

(١) ديوان أبي محجن الثقفي(١٧).
(٢) دلائل الاعجاز(٢٤١).
(٣) ينظر: المطول،(٢٣٥).

ذلك، وبهذه المقطوعة يجيبهم ويضع لهم الحجج والتفسيرات التي تهدم حججهم بل وتدخل في نفوسهم التفكير في التخلي عنها والكف عن معاقرتها.

ثم فصل بين جملة (**يَقُولُ أُنَاسٌ**) وجملة (**اشْرَبْ الخَمْرَ**)، لشبه كمال الاتصال(١) حيث وقعت الجملة الثانية بمنزلة الجواب علىٰ سؤال مقدر اختزلته في أحشائها الجملة قبلها، حيث توهم أبو محجن ﷺ أن سائلًا قد سأله، ماذا يقول الناس؟، وكأنه أجابه بقوله: "**يقولون اشْرَبْ الخَمْرَ**"، وجاء بالفعل ظاهرًا؛ لأن السؤال مقدّر(٢).

ثم أخرج فعل الأمر (**اشْرَبْ**) عن معناه الأصلي إلىٰ معنىٰ الالتماس(٣)؛ لأن الطالب يساوي أبو محجن ﷺ في الرتبة، فقد كان يجالسه في مجلس الشراب، وسلك بطلبه الشرب عن طريق فعل الأمر سبيل التلطف بغية استمالته، ومن معنىٰ الالتماس يستشف معنىٰ آخر وهو النصح والإرشاد، كأنما الطالب هو الناصح الأمين لأبي محجن ﷺ فيوجهه ويرشده إلىٰ ما فيه صلاحه بقوله: "**اشْرَبْ الخَمْرَ**".

ثم يفصل بين الجمل للاتصال المعنوي الذي يسري بين ثنايا المقطوعة، فيقول: "**إِنَّهَا إِذَا القَوْمُ نَالُوهَا**" لشبه كمال الانقطاع، فقد تقدمت هذه الجملة جملتان يصح عطفها علىٰ إحداهما، فترك العطف لئلا يتوهم غير المراد؛ لأنه عند العطف بالواو كأن يقول: "**وإِنَّهَا إِذَا القَوْمُ نَالُوهَا**"، فسيكون المعنىٰ: أن هذه الجملة من جملة ما قاله الناس له حتىٰ ينثني عن قراره بالإقلاع عن شرب الخمر.

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني، لمحمد بن عرفة الدسوقي(٢/ ٥٠٥) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، (د: ت).

(٢) ينظر: دلائل الاعجاز(٢٤٠).

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٣/ ٨٦).

أمَّا بغير الوصل فإن تقدير المعنىٰ: أن أبا محجن ﷺ يعرض حجج الناس التي كانوا يقنعوه بها وبراهينهم، ببيان ما في الخمر من خصائص وميزات تحفز علىٰ الاقبال علىٰ شربها وليس الإقلاع عنها.

يَقُــولُ أُنَــاسٌ اشْــرَبْ الخَمْــرَ إِنَّهَــا إِذَا القَــوْمُ نَالُوهَــا أَصَــابُوا الغَنَائِمَــا

(**إِنَّهَا إِذَا القَوْمُ نَالُوهَا**)، يؤكد الكلام بـ (إنّ) ثم يعرف المسند إليه بالضمير (**الهاء**) الذي يعود علىٰ الخمرة، فيلتفت من مقالة الناس إلىٰ الحديث عن منافع الخمرة ذاتها، فقد فرغ أبو محجن ﷺ من قول الناس له والمعنىٰ قد تم، ولكن ترىٰ أنه يستكمل قولهم وتذكيرهم له بما في الخمرة من منافع، فالتفتوا إلىٰ الخمرة ذاتها بذكر خصائصها ليزيلوا أي اعتراض قد يطرأ أو شك، وكأنه قد ظهر علىٰ أبي محجن علامات الاعتراض أو الشكّ، فظن القائلون بأنه سيرد عليهم قولهم، أو أنه سيسألهم عن سبب طلبهم منه العودة للشرب ثانية، فالتفتوا ورجعوا إلىٰ المطلوب وهي الخمرة بذكر خصائصها وميزاتها لإزالة الشك عنها(١).

(**إِنَّهَا إِذَا القَوْمُ نَالُوهَا**)، ثم فصل بين جملة الشرط (**إِذَا القَوْمُ نَالُوهَا**) والجملة التي قبلها، لكمال الاتصال بين الجملتين حيث وقعت الجملة الثانية بيانًا للجملة الأولىٰ، ثم يعلقون حجتهم علىٰ الشرط المعقود علىٰ شرب الخمر، أي أنه إذا لم تشربه لن ينالك ما ناله القوم، فاستعملوا للشرط (**إذا**) للأمر المتيقن الحصول أو المتوقع، وكأن هذا الذي يقولونه في شأن شرب الخمر هو المعروف والمتوقع حصوله، إنها تزيد الجرأة التي تكون سببًا في النصر وعليه كثرة المغانم،

(١) ينظر: كتاب الصناعتين(٣٩٢).

ويختار (القوم) لأنها تدل علىٰ الرجال الذين يقوم بعضهم مع بعض في الأمور[١]، وكأنهم يشيرون إلىٰ أن شرب الخمر من شيم الفرسان من الرجال ذوي البأس والشدة.

وكذلك فقد أتبع (إذا) الشرطية بالاسم وهذا علىٰ غير المشهور عند سيبويه[٢]، وعلىٰ قول سيبويه فإن هناك فعلًا مقدَّر قبل القوم والتقدير وإذا أصاب القوم إياها أصابوا الغنائم، ويمضي أبو محجن ﷺ في إحكام أبيات مقطوعته ينمُّ عن علم دقيق بالفروق الخفية بين القواعد العربية التي ترفع كلامًا علىٰ كلام، وكأنه في ذكر القوم قبل ذكر ما أصابهم تذكير بصحبة الرجال في مجالس الشرب.

أما جملة جواب الشرط في قوله: "أَصَابُوا الغَنَائِمَا"، فقد علّق العسكري عليها قائلًا:

"يقول إنهم جعلوا شربها غنيمة لما فيها من السرور، وأصل الغنيمة مال الأعداء، ثم جعلت مثلًا في غيره، يقال: اغتنمت السرور بلقائك، واغتنمت الفرصة في الأمر"[٣].

أي أن قوله: "الغنائم" استعارة تمثيلية، وكأن ما يجده الرجل من هناء وسرور عند شربه للخمرة، مثل تلك التي تأتي بعد النصر علىٰ العدو واغتنام ماله،

---

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية(٤٢٧).

(٢) مذهب سيبويه: أن (إذا) لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر،... وأجاز الأخفش وقوع المبتدأ بعد (إذا). ينظر: الجنىٰ الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن عليّ المرادي المالكي تـ ٧٤٩هـ(٣٦٨) تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٣) ديوان أبي محجن الثقفي(١٦).

فشبهوا هذه الحالة بتلك لتكون أوقع في قلب أبي محجن ﷺ فتثنيه، أو كأنها المغريات التي يغرونه بها ليتراجع عن قرار الابتعاد عن الخمر والإقلاع عنها.

فَقُلْتُ لَهُمْ جَهْلًا كَذَبْتُمْ أَلَمْ تَرُوا أَخَاهَا سَفِيهًا بَعْدَ مَا كَانَ حَالِمًا

ثم يفصح أبو محجن ﷺ عن حججه الدامغة لرد مقالتهم عليهم، فيصل عن طريق (الفاء) التي تقلب الأوضاع وتعكس الأحوال فيقول: **"فَقُلْتُ لَهُمْ"**، ثم فصل بينها وبين قوله: **"جَهْلًا"** وذلك لشبه كمال الاتصال بين الجملتين حيث وقعت الجملة الثانية بمنزلة الجواب علىٰ سؤال مقدر ففصل بإسقاط (الواو)، ثم أتىٰ بالجار والمجرور في قوله: **"فَقُلْتُ لَهُمْ"**، مستعملًا (اللام) التي تدل علىٰ الاستحقاق وكأن مقالتهم تستحق تخصيصهم بالإجابة، وكأن حالهم حال من يدافع عن قضية معلوم خسارتها مسبقًا.

ثم فصل ثانية بين قوله: **"جَهْلًا"** وقوله: **"كَذَبْتُمْ"** حيث وقعت الجملة الثانية بعد جملتين يصح عطفها علىٰ إحداهما فترك العطف لئلا يتوهم المخاطب غير المراد، والداعي إلىٰ ذلك الفصل هو شبه كمال الانقطاع.

ثم يفصل ثالثة بين قوله: **"كَذَبْتُمْ"** وقوله: **"أَلَمْ تَرُوا أَخَاهَا سَفِيهًا"**، وذلك لكمال الاتصال بين الجملتين حيث وقعت الجملة الثانية بيانًا للجملة الأولىٰ، وكأنها الدليل علىٰ كذبهم، وهذه القدرة علىٰ وصل الكلام وفصله دليل علىٰ الرتبة اللغوية التي كان عليها أبو محجن ﷺ، فقد صار العلم بهذه المواضع دليلًا علىٰ عربية القائل وبلاغته، يقول الجرجاني:

"واعلمْ أنَّه ما من عِلْمٍ من علوم البلاغة أنت تقول فيه إنه خَفيٌّ غامضٌ، ودقيقٌ صَعْبٌ، إلاّ وعِلْمُ هذا البابِ أغمضُ وأخفىٰ وأدقُّ وأصعبُ"(١).

ويستفهم مقرِّرًا إياهم علىٰ أنفسهم عن طريق الهمزة التي يراد بها أمران، هما: التصور، والتصديق، وكأنه بهذه الهمزة أراد منهم استحضار صورة سكران في أذهانهم، وعن طريق هذا التصور يكون التصديق إمّا بإثبات المسئول عنه والتصديق عليه، أو نفيه ورفضه، وذلك بسؤاله إياهم عن طريق الهمزة التقريرية.

وبالتأمل في معنى (لمْ) وخصائصها يظهر مراد أبي محجن ﷺ من صياغة الجملة على هذه الطريقة، يقول ابن مالك في خصائص (لم):

"**تنفرد (لم) عن (لـمّا) بأمرين:**

الثاني – منهما –: جواز انفصال نفيها عن الحال، فتنفي الماضي المنقطع حدثه عن زمن الحال، كما تنفي الماضي المتصل به.

مثال الأول قولهم: لم يكن كذا ثم كان، وقوله تعالىٰ: ﴿ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾(٢).

ومثال الثاني: لِما هو كائن لم ينقطع، قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(٣)"(٤).

---

(١) دلائل الإعجاز(٢٣١).

(٢) بعض آية من سورة الإنسان(رقم: ١).

(٣) بعض آية من سورة مريم(رقم: ٤).

(٤) شرح التسهيل لابن مالك (٤/ ٦٤).

فجواز انفصال نفيها عن الحال، مع نفيها الماضي المنقطع حدثه عن زمن الحال، وعلىٰ هذا المعنىٰ الذي تختص به (لمْ)، يكون جواب السؤال تأكيدًا لرؤيتهم هذا السكران السفيه، وكأنهم ولمعرفتهم بالخمرة ومجالسها يعرفون جيدا ما يقصده أبو محجن رضي الله عنه وأنهم قد رأوا ما يشير إليه.

أمّا علىٰ المعنىٰ الثاني في كونها تنفي ما هو كائن لم ينقطع، فيكون تقدير الكلام: أن صورة السكران السفيه هي الصورة المتداولة في مجالس الخمر وهم يعرفونها جيدًا، ولذلك جاء بالفعل (تروا) ولم يقل: "ألمْ تعلموا"؛ لأن الرؤية تختلف عن العلم، فالرؤية لا تكون الا لموجود، وأمّا العلم فيتناول الموجود والمعدوم، وكل رؤية لم يعرض معها آفة فالمرئي بها معلوم ضرورة، وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود، كما أن كل إحساس من طريق اللمس فإنه يقتضي أن يكون لمحدود أو قائم في محدود[1]، ونصب به ثلاثة مفاعيل كل مفعول يعطي صورة فوق الصورة التي يعطيها المفعول الذي قبله، وكأنه يبني الصورة في ذهن المستمع لبنة بعد لبنة، وكذلك يخبرهم بضعف حجتهم، وزاد من تجسيد الصورة في أذهانهم عن طريق الجمع بين الاستفهام بالهمزة والنفي بـ (لم)، وزاد من الحبكة ببعض المحسنات المعنوية كالطباق الكائن بين قوله: "سَفِيهًا" و"حَالِمًا".

ثم ينتقل عن طريق الوصل بـ (الواو) إلىٰ البيت التالي قائلًا:

وَأَضْحَىٰ وَأَمْسَىٰ مُسْتَخَفًّا مُهيَّمًا ... وَحَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَرَىٰ الْمَرْءَ هَائِمًا[2]

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية(٢٦٣).

(٢) ديوان أبي محجن الثقفي(١٧).

وصل بين الجملتين للتوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان خبرًا ومعنىٰ والمحدث عنه في الجملتين واحد، ثم طابق بين قوله: "أَضْحَى" وقوله: "أَمْسَى" طباقًا معنويًا حتىٰ تشمل حالة الاستخفاف والهيام اليوم كله، وجملتا (وَأَضْحَى وَأَمْسَى) لفّ وقوله: "مُسْتَخَفًّا مُهيَّمًا" نشر لهذا الطي (اللفّ)، فقد ذكر الضحىٰ والمساء ثم عوَّل علىٰ قدرة السامع في رد كل صفة إلىٰ وقتها، وكأن الاستخفاف يكون نهارًا، والهيام يكون ليلًا، وإلىٰ معنىٰ اللف والنشر قد أشار يحي العلوي قائلًا:

"**اللف والنشر**: وهو في لسان علماء البيان عبارة عن ذكر الشيئين علىٰ جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد ثم يوفّىٰ بما يليق بكل واحد منهما اتكالا علىٰ أن السامع لوضوح الحال يرد إلىٰ كل واحد منهما ما يليق به"(١)

وفي حذف المسند إليه في كلٍّ من الجملتين (وَأَضْحَى وَأَمْسَى)، وذلك للتخييل أن في تركه تعويلًا علىٰ شهادة العقل في ذكره(٢)، وذلك لأن الصورة من مبدئها صورة معنوية بها يستدل علىٰ كذبهم، فعوَّل علىٰ العقل في استحضار هيئة سكران يستخف به الناس عند الضحىٰ؛ لأن هذا الموعد هو موعد ذروة اجتماع الناس لقضاء حوائجهم، فيكون الاستخفاف منهم لهذا السكران الذي طرح عباءة العقل أرضًا فينظر إليه الناس نظرة استخفاف وكأن به جنونًا، أمّا في المساء فيكون هائمًا مغيَّبًا عقله لا يصنع شيء إلا أنه يهذي وكثيرًا، ولا يستقيم أمره علىٰ حال.

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز(٢/ ٢١٢).
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(٢/ ٤).

ثم يذيل[١] البيت بجملة تصير كالمثل في قوله: "وَحَسْبُكَ[٢] عَارًا أَنْ تَرَى الْمَرْءَ هَائِمًا" فهذه الجملة أعقبت الجملة التي سبقتها واشتملت علىٰ معناها وذلك بغرض التأكيد، ثم يأتي بالدليل الذي يفحم الخصم فإن الخمرة مجلبة للعار وهذا يكفي، فكون المرء جالبًا للعار لنفسه وقومه بسبب الخمر، فإن لم يكن غير هذه في الخمر ففيها كفاية، وكون الرجل يصنع الصنيع الذي يغيب عقله حتىٰ يصير كما الهيمان الذي لا يهتدي إلىٰ طريق فإن هذا موجب للاستخفاف به.

وهكذا تابع أبو محجن ﷺ في بناء صورة لمشهد حواري تداولي حجاجي، قائم علىٰ سرد العلل والبراهين التي يقوم بعرضها كل فريق لاستمالة الطرف الآخر، ولقوة الحجج الدالة علىٰ الاقتناع واليقين بأن هجرة الخمر هي الأوْلىٰ، جعلت الطرف الآخر من المحاجاة يعلن الاستسلام، وقد جاء التعبير عن التوبة والإقلاع عن الذنب بصورة أسهل من الصورة التي كان عليها عند التعبير عن عشقه لها، وكأن هذا تدليل علىٰ سهولة الترك والتخلي إذا ما صدقت النية وقويت العزيمة.

وبهذا التحليل يكون قد أفرغ أبو محجن طاقته الشعرية في هذه القوالب المحكمة النسج السهلة العبارة، الواضحة المعنىٰ والقوية الحجة، لأنها نابعة من نفس قد جربت الخمر ودبيبها وتأثيراتها المختلفة، فقد اعتاد أبو محجن سابقًا علىٰ

---

(١) التذييل: وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل علىٰ معناها للتوكيد. الإيضاح في علوم البلاغة(٣/ ٢٠٥).

(٢) حَسِبَ: الْحَاءُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ أَرْبَعَةٌ: وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الْكِفَايَةُ. تَقُولُ شَيْءٌ حِسَابٌ، أَيْ كَافٍ. وَيُقَالُ: أَحْسَبْتُ فُلَانًا، إِذَا أَعْطَيْتَهُ مَا يُرْضِيهِ. مقاييس اللغة(٢/ ٦٠).

شُرب الصِرْفِ منها وهي أشدها، فيعلم علم المجرب بنفسه ما في الخمر من مضار، فجاءت دعوته إلىٰ هجرها مكسوة بالصدق.

وبالتأمل في تحليل نظم أبي محجن ترىٰ بوضوح إحكام الصنعة، وعلوِّ المنزلة، وارتفاع هامته علىٰ أقرانه فحذفَ وأطنبَ، وقدَّم وأخَّر، وعرَّف ونكَّر، ولم يفعل ذلك لإظهار قدْرته علىٰ صناعة الكلام ونظمه فحسْب؛ بل لأن المعاني التي تدور بوجدانه هي التي استدعت ذلك، ومراعاته لأحوال مستمعيه ألزمته توخي الحذر في إظهار المعنىٰ الذي يريده، حتىٰ لا يتشعب فكر المستمع ويتشتت في دروب اللغة المتعددة، بتعدد الأغراض لبناء الجملة علىٰ الحالة التي هي عليها.

وقد أجاد في استعمال القواعد البلاغية بضم كل جملة إلىٰ أختها، فجاء نظمه محكما ودالًّا علىٰ العلم بالفروق الخفية التي تُصنع في الجملة وبهذا الصنيع ترتقي.

الخاتمة

فيما مضىٰ من صفحات البحث تم الحديث عن شعر أبي محجن في الخمر ، سواء من الشعر الذي وصف فيه الخمر ومدحها، وعبر فيه عن عشقه وحبه لها ومنادمته لها، ومعاقرته لها في مراحل من حياته، وصور فيه أثرها في نفسه ، وكذلك شعره في هجر الخمر وذمها وبيان مساوئها، حين بدأ يتحول عنها، ويتوقف عن شربها، ثم تحليله تحليلًا بلاغيًا نقديًا، يبرز ما تنطوي عليه من قيم ونكات وأسرار بلاغية، ومن جماليات ومحاسن في المفردات والتراكيب والصور والموسيقىٰ والمضامين، ثم الحديث عن الخصائص البلاغية في كل من الألفاظ، والتراكيب، والصور.

وبعد الانتهاء من ذلك كله في سياق البحث تبين ما يلي:

- -التحليل البلاغي النقدي لشعر أبي محجن الثقفي في عشق الخمر وصهباء الإقبال علىٰ معاقرتها، وشعره في هجرها وذمها وبيان مساوئها، يوضح أن أبا محجن- وإن كان مقلًا في شعره- كان يضرب بسهام متعددة في جذور العربية الفصيحة، وكان لديه علم دقيق، ودراية كاملة بالفروق بين الألفاظ ومعانيها التي تحملها، كما كان لديه علم ملفت للأنظار بمواضع فصل الكلام ووصله، وهذا لا يتأتىٰ إلا للأعراب الخلص ، وأيضا كان لديه دقة متناهية في استعمال الألوان البديعية المختلفة، والصور البلاغية الفنية الرائعة والحيوية، فأضفىٰ بذلك كله الجمال علىٰ شعره الخمري، وحقق له الاستمرارية والخلود، ونال به إعجاب النقاد والبلاغيين والباحثين قديمًا وحديثًا.
- إجادة أبي محجن الثقفي في شعره، الذي تعامل فيه مع الخمر ، وتقديمه

لوحات فنية بديعة فيه، تشهد له بالإبداع والإجادة شكلًا ومضمونًا.

- يحوي شعر أبي محجن الخمري كثيرًا من القيم والأسرار والنكات البلاغية الرائعة، التي تثير المتلقين، وتؤثر فيهم، كما تعكس مقدرة أبي محجن الفنية، وقدرته التذوقية الدقيقة، في حسن اختيار المفردات والأفعال والمشتقات والتراكيب والصور الفنية والوسائل الموسيقية التي تحقق مراده، وتوضح مضامينه، وتكشف عما يريده ويهدف إليه من وراء شعره.
- تتنوع، إلىٰ حد كبير، القيم والنكات والأسرار والقواعد والأبواب البلاغية في خمريات أبي محجن، حيث تنتمي إلىٰ علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وتحمل كثيرًا من أوجه الحسن والجمال، وتنطوي علىٰ روائع مضمونية وفنية وأسلوبية مثيرة ، وتجسد بوضوح المعاني والأفكار، وتترجم بدقة مشاعر الشاعر وأحاسيسه وعواطفه وانفعالاته.
- -يعكس التحليل البلاغي النقدي للنماذج الشعرية في البحث، الموهبة الشعرية المتميزة لدىٰ أبي محجن، والتمكن الدقيق من حسن نظم الشعر في ذلك الجانب الموضوعي، والإحاطة الواسعة بالأسرار اللغوية والجمالية والمعنوية لمفردات اللغة وتراكيبها وموسيقاها وصورها، وبالتالي في سياق شعره الخمري، فأدىٰ وظيفته فيه علىٰ أحسن وجه، وحقق مراد الشاعر تحقيقًا دقيقًا، وزاد من جماليات وروعة شعره في ذلك الجانب.
- اتضح من خمريات أبي محجن: فصاحته الواضحة وبلاغته الدقيقة، وصحة لغته، وسلامة أسلوبه، ودقة دلالته علىٰ المضمون والمراد مع إحكامه وحبكته الدقيقة في النظم، وفي الترتيب الدقيق لنسق الكلام في شعره، بحسن تنسيق المفردات والجمل والتراكيب، وتماسك بنائها،

وخلوها من أسباب الضعف والركاكة، ومظاهر التنافر والغرابة، ووسائل التعقيد.

- اتسم شعر أبي محجن الخمري في مضامينه بالألفة والوضوح والقرب من الأفهام، وتجنب الغموض والإبهام فيها، فمفرداته مألوفة متداولة، وتراكيبه متآلفة ومتناسقة، حيث قامت علىٰ البناء اللغوي السليم، والقواعد النحوية الصحيحة، والقيم البلاغية الدقيقة، سواء في المعاني، أو البيان، أو البديع، ووسائله الموسيقية رائعة ودقيقة، ومناسبة للمضمون والغاية والمراد، ومشاعر الشاعر وأحاسيسه وانفعالاته، وكل ذلك ساعد، إلىٰ حد كبير، علىٰ أن تأتي مضامينه في خمرياته واضحة مكشوفة وقريبة من أفهام المتلقيين وأذهانهم.
- كشف التحليل البلاغي النقدي لخمريات أبي محجن، في تعامله مع الخمر علىٰ مدىٰ رحلته معها في الحالين، عن وضوح عاطفة الشاعر وصدقها في التعامل مع الخمر، حيث برز بوضوح تام-في خمرياته- تلك العاطفة القوية الصادقة، والإحساس الصادق والانفعال الشديد، والتعاطف القوي في تعامل الشاعر مع الخمر، عشقًا ومدحًا ومعاقرة، وهجرا وذمًا ونفورًا.
- النماذج الشعرية في البحث، وما تضمنه البحث من تحليل بلاغي نقدي وفني ومضموني لتلك النماذج الشعرية المشتملة علىٰ خمريات أبي محجن، كل ذلك يثبت أن الشاعر كان صادقًا وواقعيًا في تعامله مع الخمر، ولم يغير الحقائق، ولم يجمل الواقع في خمرياته.
- فهو صادق وواقعي في تصوير حبه وعشقه للخمر، وإقباله بحب علىٰ معاقرتها، وإقدامه بنهم علىٰ شربها، وبيان محاسنها في شعره، وهو أيضا

صادق وواقعي في تصوير هجره للخمر، وتوقفه عن معاقرتها، وذمه لها، وبيان مساوئها وضررها في شعره.

- -أثبت التحليل البلاغي الدقيق لشعر الخمر عند أبي محجن، تعانق الشكل مع المضمون، وتناسبه الدقيق لما يعبر عنه من معان وأفكار، وما يترجمه من مشاعر وأحاسيس ، كما عكس الشكل – أيضا- دقة أبي محجن في صياغة شعره واستيعابه الدقيق لمضامين خمرياته وإدراكه لمشاعره وأحاسيسه تجاه الخمر في الحالين، فاختار لهما ما يناسبها من أروع المفردات، وأجمل التراكيب، وأدق التعابير، وأنسب الأساليب، وأحسن الـ صور، وأنسب المحسنات البديعية، بوازع من مشاعره وأحاسيسه، وفـ صاحته الواضحة، ومقدرته التذوقية في انتقاء المفردات والتراكيب والصور، وكل ما يناسب من الوسائل الأسلوبية والفنية والموسيقية.
- أثبت التحليل البلاغي النقدي لشعر الخمر عند أبي محجن، وما كشفه من جماليات ومحاسن ودقة وروعة ، من حيث شكلها ومضمونها، صوابية نظرة أسلافنا من النقاد والبلاغيين، وغيرهم من الباحثين في الحديث، في اعتدادهم بأبي محجن الثقفي، وبفصاحته وبلاغته وبعلو مكانته في عالم الشعر، لاسيما في وصف الخمر ، وبموهبته الشعرية المتوقدة، والنظر إليه علىٰ أنه شاعر كبير مجيد، وشعره يرقىٰ إلىٰ منزلة عالية، ومكانة رفيعة في تاريخ شعرنا العربي القديم .
- ولاشك في أن البحث قد أثبت ذلك كله، وأكد من خلال الجانب التطبيقي التحليلي فيه، كما أثبته وأكدته نظرة النقاد والبلاغيين ، في القديم والحديث، إلىٰ شعر أبي محجن، ودقته وروعته، وإبداع صاحبه فيه، وأؤكد

هنا علىٰ أن التحليل البلاغي النقدي للنماذج الشعرية المختارة في سياق البحث، من خمريات أبي محجن الثقفي، قد كشف بوضوح عن كل ما سبق في البحث وفي الخاتمة، وأكد تحققه في خمريات أبي محجن، وقدم جمالياته ومحاسنه وأسراره ودقائقه البلاغية والفنية والأسلوبية والمضمونية واضحة جليلة، من خلال رؤية تطبيقية تحليلية دقيقة، تتوافق مع القيم والأسس والقواعد البلاغية والنقدية النظرية، التي أشير إليها في ثنايا البحث، والتي تم التحليل التطبيقي البلاغي النقدي علىٰ ضوئها.

✍ ما أرجوه-بعد ذلك- أن يكون البحث قد وضع النقط فوق الحروف، وأن يكون قد أكد-بمضمونه التطبيقي التحليلي- شاعرية أبي محجن المتدفقة، وموهبته الشعرية المتوقدة، وروعة شعره الخمري شكلًا ومضمونًا.

والله الموفق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- أدب الكاتب- لابن قتيبة الدينوري تـ ٢٧٦هـ- تحقيق: محمد الدالي- مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة- لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفىٰ: ٦٣٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية-الطبعة: الأولىٰ- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب- لأبي عمر يوسف القرطبي تـ ٤٦٣هـ ، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- الأصول في النحو، لأبي بكر المعروف: بابن السراج تـ ٣١٦هـ- تحقيق: عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين تـ ٩٤٣هـ- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الأعلام- للزركلي(المتوفىٰ:١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين-الطبعة: الخامسة عشر- ٢٠٠٢م.
- الإلياذة لهوميروس، ترجمة: سليمان البستاني، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٨م.
- الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني المالكي تـ ٤٠٣هـ - تحقيق: محمد عصام القضاة، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبو عبدالله محمد القزويني، تـ ٧٣٩هـ- دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٨م.

- البديع في علم العربية، لمجد الدين الشيباني، المعروف بـ: ابن الأثير تـ ٦٠٦ هـ- تحقيق: فتحي أحمد علي الدين- جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي تـ ٧٩٤هـ- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لشمس الدين السخاوي تـ ٩٠٢هـ - الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الاولىٰ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- التعليقة علىٰ كتاب سيبويه- للحسن بن أحمد الفارسيّ تـ ٣٧٧هـ- تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي- كلية الآداب- الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الجنىٰ الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن عليّ المرادي المالكي تـ ٧٤٩هـ- تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام-لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي تـ ٥٨١هـ(٢/ ٦٥) تحقيق:عمر عبد السلام السلامي- دار إحياء التراث العربي، بيروت-الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- لأبي نصر الفاربي تـ٣٩٣هـ- تحقيق: أحمد عبدالغفور-دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة الرابعة - ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيىٰ بن حمزة العلويّ تـ ٧٤٥هـ- المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علىٰ الحسن بن رشيق القيرواني تـ ٤٦٣ هـ- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تـ١٧٠هـ ، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- الكتاب، لعمرو بن عثمان المعروف بـ: سيبويه تـ١٨٠هـ- تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد الثعالبي تـ ٤٢٧هـ- تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- الكليات، لأبي البقاء الكفوي تـ ١٠٩٤هـ- تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري- مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م.
- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني تـ ٣٩٢هـ- تحقيق: فائز فارس- دار الكتب الثقافية، الكويت، (د، ت).
- المخصص- لابن سيده تـ ٤٥٨هـ- تحقيق: خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد الفيومي الحموي، تـ ٧٧٠هـ- المكتبة العلمية، بيروت، (د: ت).
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، للعلامة سعد الدين التفتازاني تـ ٧٩٢هـ- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفىٰ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار- دار الدعوة، (د، ت).
- الوافي بالوفيات- لصلاح الدين الصفدي (المتوفىٰ: ٧٦٤هـ)-تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفىٰ- دار إحياء التراث – بيروت-١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

- أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيىٰ بن جابر بن داود البَلَاذُري تـ ٢٧٩هـ ، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي تـ١٣٩١هـ- مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي تـ ٧٤٨هـ ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ه/ ١٩٩٣م،.
- تاريخ بيهق، لأبي الحسن ظهير الدين البيهقي تـ ٥٦٥ه- ترجمة: يوسف الهادي، الناشر: دار اقرأ، دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥ه.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الإصبع تـ ٦٥٤هـ- تحقيق: حفني محمد شرف- المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، (د: ت).
- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن البلخي تـ ١٥٠هـ- عبد الله محمود شحاته- دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري الهروي تـ ٣٧٠هـ - تحقيق: محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.
- جمهرة اللغة- لابن دريد الأزدي تـ٣٢١هـ- تحقيق: رمزي منير بعلبكي-دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٨٧م.
- حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني، لمحمد بن عرفة الدسوقي- تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، (د: ت).
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي تـ ١٠٩٣هـ- تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني تـ٤٧١هـ ، تحقيق: محمود محمد شاكر- مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ديوان أبي محجن الثقفي، وشرحه لأبي هلال العسكري(ص٣)- طبع في مطبعة الأزهار – مصر- دون تاريخ.
- ديوان صفي الدين الحلي، الناشر: دار صادر، بيروت،
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي تـ١٢٧٠هـ ، تحقيق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.
- سير أعلام النبلاء- لشمس الدين الذهبي (المتوفىٰ : ٧٤٨هـ) - دار الحديث- القاهرة- من دون طبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،
- شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك، لأبي الحسن علي بن محمد الأُشْمُوني الشافعي تـ٩٠٠هـ- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- شرح تسهيل الفوائد، لأبي عبد الله، محمد بن مالك تـ ٦٧٢هـ- تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- شرح قطر الندىٰ وبل الصدىٰ، لأبي محمد جمال الدين ابن هشام تـ ٧٦١هـ- تحقيق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد- المكتبة التجارية الكبرىٰ، القاهرة، الطبعة: السابعة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم- لنشوان بن سعيد الحميرىٰ اليمني تـ ٥٧٣هـ- تحقيق: حسين العمري، وآخرون- دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر (دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي تـ ٣٢٢هـ - تحقيق: عباس عبد الساتر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- غريب الحديث، لأبي إسحاق الحربي تـ ٢٨٥هـ- تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد- جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.
- فقه اللغة وسر العربية، لعبد الملك بن محمد الثعالبي تـ ٤٢٩هـ- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري تـ ٣٩٥هـ- تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ليس في كلام العرب، لأبي عبد الله بن خالويه تـ ٣٧٠هـ- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- مجمل اللغة-لابن فارس تـ ٣٩٥هـ- تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر- لمحمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ (المتوفىٰ: ٧١١هـ) تحقيق: روحية النحاس وآخرون-دار الفكر -دمشق -الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.
- مسائل خلافية في النحو، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري تـ ٦١٦هـ- تحقيق: محمد خير الحلواني- دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري تـ ٣٩٥هـ- تحقيق: الشيخ بيت الله بيات- مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس تـ ٣٩٥هـ- تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام تـ ٧٦١هـ- تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله- دار الفكر، دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله الرازي تـ ٦٠٦هـ- دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي تـ ٦٢٦هـ- تحقيق: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، (الفاء) و(ثم)، المؤلف: محمد أمين الخضري- مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي تـ ٥٨١هـ- تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع- للسيوطي تـ ٩١١هـ- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- المكتبة التوفيقية، مصر، (د، ت).

فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضوعات	الصفحة
١	مقدمة البحث	٣٦٥
٢	تمهيد البحث	٣٧٢
٣	توطئة	٣٧٥
٤	المبحث الأول : شعره في حب الخمر	٣٧٨
٥	المبحث الثاني: شعره في هجر الخمر وذمها	٤٢٧
٦	الخاتمة	٤٥٣
٧	فهرس المصادر والمراجع	٤٥٨
٨	فهرس الموضوعات	٤٦٥